سوتي والچنرال

❋ الكتاب: سوتي والچنرال (مجموعة قصصية)

❋ تأليف: سيد صابر

❋ مراجعة لغوية: محمد محيي الدين طلبة

❋ تصميم الغلاف: قسم الجرافيك بدار المنتدىٰ

❋ إخراج داخلي: القسم الفني بدار المنتدىٰ

❋ رقم الإيداع: 28255 / 2022

❋ الترقيم الدولي: 978-977-6968-92-9

المدير العام: الأستاذ عزيز عثمان

لمراسلة الدار: daralmuntadaa@gmail.com 

واتس آب: +20 100 518 6476 

فيسبوك: **دار المنتدى للنشر والتوزيع** 







(مجموعة قصصية)

سوتي والچنرال

تأليف

سيد صابر

سناء

غامت عيناها بالدموع التي حفرت أخاديدًا علىٰ وجنتيها، ولم تنسب؛ فقد ابيضت عيناها وجفت بئرهما من الحزن.. صمتٌ مطبقٌ علىٰ النفس وآهات داخلية تدوي في نواحي وجدانها، ومهج تهمس باسمه وكأنها حروف من نار تندلع في زوايا النفس.. صمت مطبق في نواحي العنبر إلا من بعض التأوهات والأنفاس المتصاعدة.. جلهم نيام، وهي الوحيدة التي لا تطبق عينيها، وإن أطبقت فيظل قلبها مشغولًا وعقلها يجتر مشاهد الحب والأسىٰ والدم، والجرح الذي لا يندمل والتنهيدات الأبدية.

– «محكمة.. حكمت المحكمة علىٰ المتهمة سناء عبد الحفيظ بالأشغال الشاقة المؤبدة؛ ولذلك لقيامها في يوم ١٨/ ١١ بقتل زوجها المدعو فارس البنهاوي، وذلك بأن طعنته في قلبه طعنتين قاتلتين. ولقيام المتهمة بالاعتراف بجريمتها تم الأخذ بعين الرأفة وتخفيض الحكم من الإعدام شنقًا إلىٰ الأشغال الشاقة المؤبدة.. رفعت الجلسة»

هرولت أمها وأخوها الصغير إلىٰ القفص حيث جلست هي علىٰ الأرض مشدوهة زائغة العينين، وما إن شاهدت أمها حتىٰ صرخت في وجهها:

- «امشي بعيد عني، مش عاوزة أشوف وشك تاني، منك لله يامَّا.. قتلتيني يامَّا»

ودارت عيناها في قاعة المحكمة تبحث في وجوه حاضري الجلسة حتىٰ التقت عيناها وعينيه.. يجلس متقوقعًا متهاويًا وينظر إليها بعينين يملؤهما الرعب والرجاء، أخوها الكبير محروس.. محروس.

رجعت من السوق تتبختر، فتاة في عمر الزهور لم تكمل الرابعة عشر بعد.. كل ما بها ينبض بالحياة؛ فقد خرطها خراط البنات فأبدع تصويرها.. بشرة بيضاء مشربة بالاحمرار، ووجنتان كتفاحتين يخر كل آدم لملمسهما الناعم، وشفتان قرمزيتان وكأنهما خلقا للاشتهاء، وعود ملفوف وصدر نافر يعلن عن نفسه بقوة.. ضربت الباب بقدمها الصغيرة وأنزلت ما فوق رأسها من حمولة.. قفصان من الفاكهة هما ما تبقىٰ من سرحة اليوم في السوق، ونادت علىٰ أمها:

- «يامَّا.. يامَّا.. انتي يا ولية.. أخويا حسين بيخزن العربية والحمار وراجع»

خرجت أمها مهللة مستبشرة بحضورها، وخرج وراءها أخوها محروس يسبقه سعاله، ثم سرعان ما بصق وهتف ضاحكًا:

- «تعالي يا سنسن.. كبرتي واحلويتي يا بت يا سناء.. اقعدي.. تعالي اقعدي جنبي»

جلست وهي تلهث وتلم بإصبعها خصلة شاردة نزلت تداعب زوايا جبهتها.

بعد أن أخرج لفافة حشيش من جيبه وأفرغ سيجارة من محتواها في حجره، وخلط التبغ مع الحشيش، ومرر لعابه عليها وأشعلها، مال علىٰ سناء متوددًا:

- «شوفي يا ست البنات.. انتي عارفة كويس إن أنا في مقام أبوكي الله يرحمه، ورايد لك الخير.. النهارده المعلم فكري طلب إيدك يا بت»

واعتدل في جلسته وربت علىٰ ظهرها ضاحكًا.

- «والله وهيتقال لي يا خال.. فكري، جدع وابن حلال وكسيب يا بت، وهتعيشي أحلىٰ عيشة»

دارت رأسها في فكري ونظراته التي كانت تتبعها وهي تبيع في السوق، وهو يجلس علىٰ القهوة مقابل فرشة الفاكهة، فمه به الشيشة وعيناه عليها.. تذكرته، تذكرت عندما أخذ منها بالأمس ثلاثة كيلوجرامات من الفراولة ودفع لها مائة جنيه، ولم يأخذ الباقي.. أفاقت علىٰ صوت أمها:

- «ألف مبرووك يا حبيبتي، هيشتري لك شقة باسمك بعيد عن مراته وولاده، وتبعدي يا بت عن بهدلة السوق ورزالة البياعين.. هه، قلتي إيه يا سنيورة؟»

لازالت تتمرجح ذاكرتها بين النجم السينمائي الذي تأملت صورته في ورقة مجلة تحت فرش الفراولة، وبين فكري بأسنانه الذهبية وضحكته المجلجلة والبياض الذي يتوغل في مفرق رأسه.. وتخيلت نفسها ترفل بالعباءات الغالية وتقف في بلكونة شقتها التي سيكتبها باسمها، وتعبُّ من خيرات ودلال فكري.

- «دقي يا مزيكا.. المعلم فكري.. عريسنا المجدع، أبو نسب الأسطىٰ محروس.. حورس وكمان حورس وبس. فكري وبس، وسمعني سلام علىٰ طول السلام لعروستنا»

نزلت هي من الكوشة، تأبطت ذراع فكري وهو يرفل في جلباب من الصوف الإنجليزي فصله خصيصًا للمناسبة، ولاسة حريرية مطرزة بالقصب الإيراني أرسل من يشتريها له من سوق البساتين؛ حيث البضائع المسروقة من الأثرياء الخليجيين. مر الموكب من أمام بيته وخرج أبناؤه من الشبابيك والبلكونات لمشاهدة والدهم العريس، وتلصصت زوجته من خلف الشباك وأطلقت سهم نظراتها للعروسة تتفحصها من خصلات الشعر المتمردة تحت الطرحة حتىٰ حذائها الفضي، وانتقلت إلىٰ فكري وتفحصته.. ذقنه الحليقة ووجنتاه المنتفختان وأنفه الملتهب شديد الاحمرار من كثرة ما عب في جوفه من ترامادول وفياجرا، ثم سرعان ما قلبت شفتيها ومصمصتهما ناقمة هامسة لنفسها:

- «أخيرًا استحميت يا فكري، والله ونضفت يا معفن»

حياة جميلة يسودها الرغد والبغدادة؛ فقد غمرها فكري بالفاكهة والحلويات واللحوم والطيور، واشترىٰ لها من

سوق غزة دستة عباءات ودستتين مايوهات ولانجيري، وبدلتين رقص.. فضلًا عن رفقه بها وخفة دمه المعهودة، فالحياة معه جميلة رائقة لا يعكرها إلا تلك الدقائق التي يعتليها، فهي تشعر وكأن هناك جبل علىٰ صدرها.. أنفاسه لا تروق لها، وإحساسها لم يتدفق ويتولد، فضلًا عن ذلك الشعور بالتقزز والرغبة في التقيؤ بعد كل محاولة منه، وما إن يفرغ منها حتىٰ تهرول هي إلىٰ الحمام تفرغ ما في جوفها.. ويشعل هو سيجارة ويهز رأسه هامسًا لنفسه: "معقولة حبلة وبتتوحم، انتي حبلة يا بت يا سناء؟".

مات فكري.. مات كما يموت كل الناس، لا لم يمت فكري مثل كل الناس.. لم يمت مثل كل الناس. عقد العزم علىٰ أن يقضي أول الليل عند زوجته الأولىٰ ويكمل الليلة عند سناء.. زوجتان في ليلة واحدة.. مغامرة قرر أن يخوضها فكري رغم علمه أن سنه وصحته لا تقويان علىٰ ذلك؛ إلا انه قرر خوض المغامرة واستعد لها. دلف بيته محملًا بالهدايا لها ولأولادها، فضلًا عن كيلوجرام من الكباب الضاني فرشه في حجر زوجته تناهشه أبناؤه، ومد يديه لزوجته ودخل بها حجرتهم وأحضر هو عدة القهوة من المطبخ

علىٰ عجل.. أشعل السبرتاية ووضع فوقها كنكة القهوة وأخرج قطعة حشيش من جيبه فرطها فوق الماء في الكنكة، وظلت تفور وتمور فوق النار.. وأطلق ضحكات مجلجلة وطفق ينظر لزوجته بعد أن لعبت الكنكة في رأسه؛ فشاهدها وكأنها فاتنة من فاتنات التوفيقية ونصف البلد.. شعر بخدر برأسه ووجهه ودقات سريعة في قلبه.. يسمع صوته، صوت نبضه.. توجه نحو السرير.. وقف.. وقف، دوران.. دوران. سقط صريعًا.

وبتشريح الجثة ثبت أن المتوفىٰ مات بسبب هبوط حاد في الدورة الدموية؛ حيث كان يعاني انسدادًا في الشريان التاجي، وثبت وجود مادة مخدرة في دم المتوفىٰ، وليست هناك أية شبهة جنائية في وفاته.. مات فكري.

- «يا سناء.. بت يا سناء.. لمي هدومك، وأخوكي حسين هيحضر الكارو ياخد عفشك..ماينفعش تقعدي لوحدك يا سناء، ترجعي بيت أبوكي معايا»

أصدر محروس أوامره لسناء بعد أن أصبحت أرملة تملك شقة، وفي معصمها وعلىٰ صدرها شبكة فكري الذهبية.

لـم تملـك يومًـا أن تقـول لمحـروس لا.. فهـي رهـن إشـارته؛ فقـد زرعـت فيهـا أمهـا أن محروسًـا أخوهـا وأبوهـا و"عـارف مصـلحتها".. خضـعت لأوامـر أخيهـا ورجعـت معـه لبيـت أبيها.

أغاني مهرجانات وأصوات صاخبة تموج في أجواء شارع جسر البحر، فقد افتتح المعلم محروس محلاته للفاكهة والخضار، وأصبح من طائفة التجار وليس "عيل سريح بكارو".. أخذ من سناء شبكة فكري الذهبية وباع شقتها واشترىٰ محلين في السوق في شارع جسر البحر بجوار أكبر سوق في روض الفرج.. أخذها إلىٰ مطعم بيبو، وعلىٰ سيمفونية شفط الشوربة ورائحة الطشة وأجواء الكوارع والكبدة، عقد مع أخته الصفقة.. لكِ نصف الإيراد كل يوم.. فغمزتها أمها في فخذها هامسة:

- «إخواتك طول عمرهم شقيانين علينا ولازم يرتاحوا بقىٰ.. وبكرة إخواتك يردوا لك كل فلوسك»

وسقطت دمعة حارة من الأم وتشحتفت وبربرت وتمخطت.

- «محروس طول عمره راجلنا.. ساعدي محروس يا سناء»

خرجت سناء معهم من المطعم إلىٰ الصائغ وخلعت كل ما تملكه، وقدمته لمحروس ليفتح محلاته.

ملل.. فراغ.. تشعر سناء بكآبة تلف يومها؛ فهي لم تتعود أن تجلس في البيت.. تعودت العمل من طلوع الشمس حتىٰ مغيبها.. حتىٰ أيام فكري، فقد كان يشغلها بمروره اليومي عليها. الآن تشعر بخواء وفراغ، وخصوصًا أن محروسًا رفض أن تنزل أخته وأمه إلىٰ العمل في المحلات، حتىٰ هو لم يعد يعمل.. فقط يجلس أمام الدكان بالشيشة، وأخوه حسين يدير البياعين.

ارتدت عباءتها علىٰ عجل، بعد أن قرصت وجنتيها وعقصت طرحتها ولونت شفتيها ورشت بعض العطر، هرولت خارجة من شارعهم في جسر البحر متوجهة صوب محلات مدبولي قاسم، أشهر محل حلويات في شارع شبرا.. تركت جسر البحر حيث روائح الخضار والفاكهة والسمك المشوي إلىٰ شارع شبرا، وبوتيكات وحلويات شارع شبرا. هناك وقفت أمام المحل تتبعه.. شاب أسمر ربع، ليس بالطويل ولا بالقصير.. ضحكته ساحرة وكلماته تسقط من مسامعها علىٰ قلبها، وأناقته تأسرها رغم ملابسه البسيطة، إلا إنه أخذ قلبها بإطلالته وحديثه المعسول،

والأهم هو ذلك الشعور بصدقه؛ فلمعان عينيه أثناء حديثه معها يجعلها تحلق في عوالم من العشق والهُيام. فارس البنهاوي.. بائع الحلويات في محلات مدبولي قاسم مساءً، ومدرس التاريخ في مدرسة مسرة الابتدائية صباحًا.

- «بحبك يا فارس»

همست بها في أذنيه، في رحلة بالمركب في النيل من كورنيش الساحل حتىٰ أبراج أغاخان.. نزلا معًا من المركب ودلفا إلىٰ كازينو هابي لاند.. وعلىٰ وقع ضربات المعالق الصغيرة في كئوس الآيس كريم، اعترف لها أنه سيذهب غدًا لمقابلة محروس و"أطلب إيدك يا بت".. حكت له عن محروس وأمها وحسين أخيها الصغير وفكري و، و، و... صمت برهة وقال لها:

- «قومي روحي، لن أنتظر للغد.. اليوم بعد المغرب سأذهب لمحروس.. لن أنتظر للغد»

تتلصص وتنصت لعلها تظفر بموافقة محروس الذي شعر أن فارسًا سيأخذ منهم سناء.. سيطالب بحقها في الدكان.. سينهي

مفاوضاته مع الريس عبادة تاجر الجملة المشهور الذي لمح له عن رغبته في الزواج بسناء.

تراجع محروس إلىٰ الخلف وهو يتفحص فارسًا وينصت إلىٰ كلماته، وقاطعه ساخرًا:

- «ويا ترىٰ هتسكن فين انت وهي؟ اوعىٰ تقول لي عند أمك في الحافظية.. أنا عاوز لها شقة لوحدها وتكتبها باسمها، وعاوزين شبكة»

رد فارس:

- «أنا عينيا لسناء.. هناخد شقة إيجار جديد في الوراق وأفرشها لها.. وإحنا في أول حياتنا يا معلم محروس»
- «قول لي يا فارس، هو انت مين دلك علينا؟ يعني انت صغير وممكن تتجوز بنت بنوت، ليه اخترت سناء؟»

أسقط في يد فارس وهمس:

- «النصيب.. النصيب يا معلم»

خرج فارس مهمومًا وتأخذه الظنون بعد أن ترك محروس الرد معلقًا ولم يعطه ردًا يريح قلبه ويروي شغفه.

- «بقىٰ أنا أرمي أختي الوحيدة لعيل شقيان وتعبان زي ده؟ الريس عبادة كلمني عنك يا سناء.. سيبك من الواد الأفندي ده.. إحنا طول عمرنا لا بنحب الأفندية ولا الأفندية بيحبونا»

حاولت سناء أن تبوح بمكنونات قلبها، ولمح محروس في محياها ارتباكًا وميلًا إلىٰ فارس؛ بل وجدها تتحدث مثله.. كلماته وأسلوبه.. وجد فارسًا في حروفها ووقفاتها وبين عينيها.. انتفض محروس صارخًا:

- «هو انتي تعرفي الواد يا بت؟ تعرفيه منين وشوفتيه فين؟»

انسحبت سناء والدموع في عينيها، وهو يردد علىٰ مسامعها:

- «عليا الطلاق الواد ده ما تتمدي في حضنه طول ما أنا عايش.. ده عيل متني وطري»

تمسكت سناء أكثر بفارس وأصبحت لقاءاتهم شبه يومية، وقررا الزواج.. كتبا الكتاب وأصبحا يختلسان من يومهما سويعات قليلة يقضيانها معًا في عوالم من الحب والود والعشق والوصال الدافئ.

لاحظ محروس غيابها الدائم.. ضحكتها الرنانة.. أنوثتها المتفجرة.. قسماتها الناضرة ووجهها الصبوح. أرسل أخاهما حسين لتتبعها، ليهاتفه صارخًا:

- «يا محروس، أختك بتركب الأوتوبيس النهري وبتعدي البر التاني، وبتدخل بيت في الوراق»

ليصرخ محروس:

- «استنىٰ عندك يا ابن الجزمة»

وهرول رامحًا صوب الأوتوبيس النهري وأمه وراءه تصرخ فيه أن ينتظرها.. وصلا حيث ينتظرهم حسين الذي أشار لهم علىٰ البيت، ليفتح محروس مديته ويصعد الدرج بسرعة ويدق باب الشقة.. يفتح له فارس الباب ويدفعه محروس صارخًا:

- «فين البت؟»

يدفعه فارس في صدره، يتكوم محروس ويفقد توازنه، لتخرج سناء من غرفة النوم متدثرة ببعض ملابسها صارخةً:

- «ده جوزي.. جوزي يا أخويا»

يمد محروس مديته يطعنها، ويحاول فارس حمايتها.. ترشق المدية في قلبه وسط صراخها، والدم شلال من صدر فارس الذي تهاوىٰ، وخرج محروس مسرعًا ليقول لأمه المهرولة علىٰ السلم:

- «شوفي بنتك.. جابت لنا العار.. العار»

دخلت الأم إلىٰ الشقة مسرعة.. فارس يغيب وميض الحياة من عينيه، وسناء في حالة هستيرية تشد شعرها وتقبل عيونه وتأخذه في صدرها.. لتصرخ فيها أمها:

- «ليه كده، ليه تقتلي جوزك يا بنتي؟»

نظرت لأمها مشدوهة مندهشة مستعجبة، لتأخذها الأم هامسة بفحيح كالأفاعي:

- «قولي إنه حاول معاكي محاولات غير شرعية أو لقيتي معاه نسوان في الشقة.. قولي أي حاجة، محروس هيروح

في داهية.. أخوكي هيتشنق يا سناء.. الحي أبقىٰ من الميت يا سناء، هجيبلك أكبر محامي. اسمعي كلامي، هتخرجي منها يا سناء، ماتخافيش يا سناء»

لتخرج سناء مع رجال المباحث وهي تشد في شعرها.. تبكي حبها وقسوة أمها وجحود أخيها، تبكي زمانها وأيامها.



باثولوجي

- «حي علىٰ الصلاة.. حي علىٰ الفلاح.. الله أكبر.. الله أكبر»

هرول ليأخذ موقعه واصطف في أول صف خلف الإمام.. ومع تهدج صوت الإمام اختنقت العبرات في عيونه، بدأ النهنهة والبكاء.. يحاول أن يسيطر علىٰ جسده المرتعش ودموعه التي تسيل، وتحفر وديانًا وتنبت صبارًا علىٰ خدوده.

- «السلام عليكم ورحمة.. السلام عليكم ورحمة الله»

انتهت الصلاة فقام مسرعًا واحتضن مصحفًا وانزوىٰ في إحدىٰ زوايا المسجد.. يلعق دموعه ويلم شتات عقله ويضبط أشلاءه التي تناثرت من اهتزاز بدنه.. بعد كل صلاة يمر بتلك الحالة.. حاول أن لا يصلي في المسجد حتىٰ لا تجتاحه تلك العواصف التي تخلعه من جذوره وتحلق به في دهاليز جهنم.. حاول الصلاة في البيت ولكن حالته في البيت أصعب وأكثر ألمًا تكاد أن تطيح بما تبقىٰ له من عقل ووجدان، يتخيل أن ما فعله في الفقيد يفعله في ابنه.. تخيل ابنه سمو الشاب الناجح وكيل النيابة الهمام معلقًا

كالذبيحة، وسياط الجلادين تسلخه، وصراخه يشق الأرض والسماء.

- «فين الفلوس ياض؟ اعترف اختلست كام من الخزنة»

ويحلق مشهد زوجة الفقيد الملتاعة المقهورة ذات العينين المحمرتين، من هول رؤية زوجها والسياط تلفح ظهره ومؤخرته. هجر ناجي صلاة البيت ولجأ للصلاة في المسجد؛ لعلها المنجية مما تعصف به شياطينه من عواصف وهواجس. إنه اللواء ناجي السمري.. قبل خمسة وعشرين عامًا طلب الرائد الشاب ناجي السمري أن ينقل من المباحث الجنائية بعد مقتل أحد المجرمين بين يديه أثناء التحقيق معه، ووافقت الأجهزة الأمنية والشرطية علىٰ طلبه بعد أن لاحظوا اضطرابًا وارتباكًا في سلوكه وميله للعزلة، وعند محاولة أحدهم فك عزلته أو الضغط عليه كان يثور ثورة عارمة. تنقل بين الأمن المركزي وشرطة السياحة وحتىٰ الآداب؛ فقد كان سعيدًا في العمل بهم، المهم أن يبتعد عن المباحث الجنائية.

أنهىٰ صلاته وهرول تجاه بيته.. اطمأن علىٰ وجود زوجته في مملكتها المعتادة (المطبخ)، وابنته تعكف علىٰ دراستها في

ماجستير الجراحة، وابنه خرج من عمله ويتنزه مع خطيبته.. أخرج هاتفه وفتحه وغير الشريحة ووضع شريحة جديدة برقم جديد.

- «ألو، إزيك يا عادل يا ابني.. أخبارك إيه ونبيل أخوك أخبار ورشته إيه؟»
- «انت تاني؟ انت مين يا أستاذ مايصحش كده.. أنا طبيب وشغلي بياخد كل وقتي، أرجوك ماتعطلنيش أكتر من كده.. انت مين وعاوز إيه؟»

تهدج صوت ناجي وأوشك علىٰ البكاء؛ فصوت عادل يشبه صوت أبيه الفقيد، لا بل إنه صوت أبيه.. نفس النبرة ومخارج الألفاظ والسكتات ثم الانطلاق في الحكي والكلام.

- «أرجوك يا أستاذ ماتتصلش بيا مرة تانية إلا إذا قررت تقولِّي مين انت وعايز إيه. تيت.. تيت.. تيت»

رجع ناجي إلىٰ غرفته وهاتفه وشريحته التي غيرها.. تمدد علىٰ سريره وتنهد تنهيدة أخرجت كل زفرات صدره ومكنونات قلبه، مع كلمة "آه" تموج بها روحه.. "هل أحدثه وأشرح له؟ أسأله الغفران والسماح.. أسأل عن والدته، أخرج له كفارة، أرسله في

عمرة علىٰ حسابي، أقتطع من معاشي مرتبًا شهريًّا له؟"، تموج الأفكار في رأسه بعد أن كللتها موجات من الشيب، وقام مسرعا للتوضؤ استعدادًا للصلاة.

أسقط في يد عادل وهو يحتار في أمر هذا الرجل الذي يطارده تليفونيًّا من أرقام مختلفة، وحاول أن يشحذ زناد عقله عله يجد وسيلة وطريقة يقابل بها هذا الرجل ويعرف منه ماذا يريد، أم يتركه للمجهول. لبس ملابسه علىٰ عجل فهي في انتظاره.. زميلته الطبيبة هدىٰ ناجي السمري.. تعرفها عندما كان هو مدرس الباثولوجي ولاحظ اهتمامها به.. بادلها الاهتمام، ثم سرعان ما تحول الاهتمام إلىٰ إعجاب.. وعلىٰ طريقة أهل الطب اليوم قرر أن يفاتحها، بنت شاطرة وذكية وبنت أصول.. بنت اللواء ناجي السمري.

جلسا وهي تثبت قلبها ونظرها علىٰ شفتيه وكأنها تنتظر أن تنثر حروفًا ملونة، وما إن قالهم حتىٰ انطلقت زفرات من صدرها:

- «أخيرًا نطقت يا دكتور»

تشابكت أيدهم وتحسس إصبعها وهمس:

- «خدي لي موعد من عمي»
- لـم تتنظر هـدىٰ لتخبر سيادة اللـواء إن هنـاك ضـيف يريـد مقابلته.. أخرجت هاتفها من حقيبتها.

- «ألووو يـا بـابي، عنـدنا ضـيف هيزورنـا النهـارده السـاعة سـبعة.. أرجوك انتظره»

ترجل عادل من سيارته ميمما صوب ڤيلا اللـواء نـاجي السـمري.. تلفت يسـارًا ويمينًـا وأخـرج صـورة والـده ووالدتـه وقبَّلهـا قبلتـين، وغلالة من الدموع تغلف عينيه. تماسك.. رن الجرس.. فتحت لـه هدىٰ الباب وهي ترفل في فستان أزرق أنيق. تبـدو فاتنـة، فـدائمًا مـا كان يشاهدها بالروب الأبـيض وتحتـه البنطلـون الجينـز. جلـس في الصـالون يتتبـع خطواتهـا وقوامهـا بالفسـتان مـأخوذًا مبهـورًا بأثـاث سيادة اللواء، وتعلقت عيناه بالنجفة وأضوائها المبهرة.

أتىٰ اللواء نـاجي مهلـلًا مستبشـرًا حتـىٰ وقعـت عينـاه علـىٰ عـادل.. امتقع لونه وعلا الضنك محياه.. مد يدًا مرتعشة مـترددة خائبـة إليـه متمتمًا:

- «إزيك يا ابني... أهلًا وسهلًا»

رد عـادل مستبشـرًا سـعيدًا تمـوج عينـاه بموجـات مـن الدعـة والسعادة، وتبرق بحبور وتشع نورًا:

- «أهلًا أهلًا يا عمي»

هدىٰ تراقبهم محتارة من استقبال ولادها الفاتر من جهة، ودفء لقاء عادل وحضوره من جهة أخرىٰ.

تحدث عادل مباشرة:

- «عـادل عبـد الحميـد الرفـاعي.. مـدرس في كليـة الطـب واستشـاري حـالات حرجـة وباطنـة، مـن بنهـا.. والـدي الله يرحمـه كـان المـدير المـالي في وزارة الثقافـة، ووالـدتي الله يرحمها كانت مديرة مدرسة "العلـم نـور" في قليـوب.. لـي أخ واحـد يكـبرني بـأربع سـنوات، صـاحب ورشـة خراطـة تحت بيتنا»

امتقـع لـون نـاجي وتراجـع.. تقوقـع وتتضـاءل في كرسـيه، مسـتمعًا لعـادل متمنيًـا أن يأتيـه أحـدهم بـ(حباية) الضـغط بعـد أن صـعد الـدم إلـىٰ رأسـه نـوافير.. وعـادل مسـتمر في عـرض الـCV الخاص به:

- «طبعًا حضرتك هتسأل عني يا سيادة اللواء.. والدي الله يرحمه توفي وأنا عمري خمس سنوات، وأمي توفت بعده بست شهور، وبقيت أنا وأخويا الكبير نبيل.. تربينا في بيت عمي، ونبيل أخويا ساب المدرسة واشتغل ميكانيكي وبعدها خراط معادن، وفتح ورشة.. لكنه بيشتغل دلوقتي في الكويت، وهو اللي تكفل بتعليمي مع معاش والدي»

ويسهب عادل في الحديث وذكر مآثر أخيه نبيل وتضحياته وتركه للمدرسة من أجل أن يكمل هو تعليمه.. واللواء ناجي يهز رأسه لا ينوي شيئًا سوىٰ أن يفر من أمام عادل، وهدىٰ تنقل عينيها بين عادل الفخور بأخيه وأبيها الملتاع المضطرب.. وأخيرًا تحدث اللواء ناجي مبديًا موافقته علىٰ ارتباط ربة الصون والعفاف هدىٰ ناجي السمري علىٰ الدكتور عادل عبد الحميد الرفاعي، ابن المدير المالي الراحل عبد الحميد الرفاعي.

نار متأججة تشب في أحشاء اللواء ناجي السمري.. خطواته مضطربة ويده مرتعشة وكثيرًا ما تسقط من يده فناجين القهوة ومعالق الطعام، حتىٰ المهدئات لم تعد مجدية. "سأزوجها له.. سأسلم فلذة كبدي ومهجة عمري له.. ماذا لو عرف؟ ماذا لو

عرف أنني أنا من قتلت أباه غيلة وظلمًا؟ كيف سأضع عيني في عينه عندما يتأكد أنني كنت السبب في موت أمه قهرًا وحنقًا على وفاة زوجها؟".

نزل عادل من عندهم واتصل بأخيه نبيل في الكويت يزف له الخبر:

- «طبيبة زميلتي ومن عيلة كويسة وأبوها لواء شرطة في المعاش.. انت نفسك لو عرفتها هتحبها يا نبيل.. في انتظار حضورك الفرح»

ورد نبيل:

- «ماتشتريش بدلة الفرح.. بدلتك عندي، وشوف هتقضي شهر العسل فين.. تحب أحجز لك في تركيا ولا تروح الأقصر وأسوان؟»
- «انزل انت بس على الفرح وهنبقى نتكلم نقضي أسبوع العسل فين»

ألعاب نارية تدوي وتنير ليل نادي الشرطة، ونساء يرفلن بـ(السواريه)، ورجال بـ(السموكن) و(البابيون)، ورائحة الشواء المختلطة بـ(تراندات البرفانات) وعبق السيجار يحلق في الأجواء،

وعمرو دياب يجمع حوله الشباب في وصلة رقص مغموسة بالغناء ويشدو:

- «هتبتدي الحكايات وميال.. ميال...»

العروس تأخذ يد العريس ليراقصها وتميل عليه في دلال، ويدور حولهم شباب وبنات العائلة، ويلحق بهم عمرو دياب بالمايك.. عادل يشعر بسعادة غامرة لا ينقصها سوىٰ تأخر أخيه نبيل.

- «سأحضر لك من المطار علىٰ الفرح مباشرة.. الطيارة تأخرت»

أنهىٰ نبيل إجراءات المطار علىٰ عجل وخرج ليقفز في أول تاكسي، حاول السائق مفاوضته.

- «سأعطيك كل ما تريده.. نادي الشرطة بسرعة يا باشا»

دخل نبيل النادي مزهوًا فخورًا بأخيه الدكتور وعروسه وأهلها، يتنسم نسيم الليالي وتأخذه الأضواء وغناء عمرو دياب. دخل القاعة وتوجه مباشرة إلىٰ أخيه وعروسه وسط صخب الغناء، فاحتضنه عادل دامعًا وهمست له هدىٰ:

- «فينك؟ انتظرناك من بدري»

ناجي ما زال علىٰ جلسته يتابع ويجامل المعازيم لا يتحرك من مكانه، حتىٰ أشار له عادل فذهب إليه محاولًا الابتسام:

- «أخويا نبيل يا عمي»

مد ناجي يديه مبتسمًا.. التقت عيناه وعين نبيل، نبيل تأمله مليًّا.. مليًّا، اضطرب ناجي.. خارت قواه، شعر بدوار.. نبيل ينظر في وجه ناجي يتأمله.. وجهه، عيناه، أنفه، صوته.. إنه هو.. هو.

خطف المايك من عمرو دياب ودفعه في صدره، وصرخ.. صرخ:

- «منك لله.. منك لله.. يا عادل هذا الرجل هو من قتل أبوك، حماك قتل أبوك يا عادل، حماك قهر أمك يا عادل.. أبويا مات مظلوم لأن حضرة الظابط ناجي السمري عاوز يقفل القضية.. قتله وبعدها النيابة برأته، ومن استلم القضية بعده قبض علىٰ اللصوص المختلسين، وماتت أمي بعد ما ظهرت براءة أبي»

اضطرب عادل وتهاوىٰ.. هدىٰ جلست مشدوهة مصروعة.. المعازيم وكأن علىٰ رأسهم الطير.. ناجي تحامل ليقف ليتكلم ليرد.. لم يسعفه لسانه ولم تقو قدميه علىٰ حمله.. سقط مشلولًا صريعًا.. هرولت إليه هدىٰ صارخة، عادل احتضن أخاه وقفل خارجًا إلىٰ خارج النادي، ولا زالت الألعاب النارية تدوي ورائحة الشواء تعبق الأجواء.

❋ ❋ ❋

زوووبة اللهلوبة

وقـف علـىٰ الرصـيف مشـتت الوجـدان متعكـر المـزاج، مرتابًـا مشـدوهًا يتابعهـا بلوعـة وحسـرة وأسـىٰ.. قـدماه لا تقويـان علـىٰ حملـه؛ فجلـس علـىٰ الرصـيف لعلـه يرتـاح.. تـزداد دقـات قلبـه ويتشتت ذهنه وعيناه تلاحقانـه وهـو يـدور بها ويتوقـف، ثـم يـدور قليلًا، ثم سرعان ما ينطلـق بها محـدثًا دويًّـا يهبط لـه قلبـه.. وقـف أمامـه ونـزل منهـا ودار حولهـا دورتـين فاحصًـا مقـدمتها.. مـد يـده يتحسس مؤخرتها.. نزل هو مسرعًا عـن الرصـيف ودفـع يـده بعيـدًا عنها والنار تنهش قلبه غيرةً وهلعًا، ووسـط ذهـول المشـتري هتـف به غاضبًا:

- «عالبركـة، أنـا شـاري يـا باشـمهندس.. هـدفع لـك نـص المبلـغ، وبكـرة في الشـهر العقـاري هكملـك المبلـغ.. هـي محتاجة تتروق شوية.. أنا هروقها علىٰ حسابي»

مد يده وسحب منه المفاتيح وقال له:

- «يفتح الله، لن أبيعها.. زوبا مش للبيع.. زوبا مش للبيع»

تقهقر المشتري بعد مفاوضات مضنية معه لعله يحصل عليها، مستغربًا تمسكه بها وهي قديمة ومهملة في الجراج.

غاص في جوفها يتحسس موقدها ويتأمل عداداتها.. أدارها ومشىٰ بها، أخذته هي حيث الميكانيكي والدوكو، وقف وبغمغمات غير مفهومة رد عليه الميكانيكي:

- «يا باشمهندس بعد بكرة تستلمها عروسة»

رنت كلمات الميكانيكي ودارت في رأسه وثمل مع صدىٰ صوته.. "بعد بكرة تستلمها عروسة".. هرول تجاه الستورجي وطلب تنجيد الفرش وبنفس اللون، وخرج من هناك إلىٰ الإكسسوار واشترىٰ مرايا للجانبين، ومرايا خلفية.. وطلب ستيكيرات وصور قديمة قدمها لصبي الميكانيكي ليلصقها في داخلها.

يعد الدقائق والساعات والأيام لاستلامها.

في يوم الاستلام أفاق مبكرًا وهرول إلىٰ الورشة مسرعًا.. الورشة مغلقة. قهوة أمام الورشة.. جلس وعينه ترنو إلىٰ بابها، يحتسي قهوته وطلب شيشة لعلها تطفئ ظمأه وتلهيه عن تشتت روحه المعلقة بها.

تـنفس الصـعداء، فتحـت أبوابهـا وطـار هـو إلـىٰ الأسـطىٰ مسـعد الميكانيكي.

استلمها مسرعًا وتبوأ كرسيه واحتضن المقود وقادها.. مد يده إلـىٰ التابلوه فوجد شريط كاسيت قـديم يعلـوه الغبـار، مسـحه في بنطالـه وشـغله.. بعـد صـمت مطبـق دار الكاسـيت.. الأصـوات مختنقـة والحـروف متكسـرة والموسـيقىٰ نشـاز.. أخـرج شـريط الكاسـيت، نفخ فيـه وضـربه عـدة ضـربات برفـق ووضـعه في المسـجل ليخـرج الصوت.. صوت الصبا.. صوت شبابه.

زووبـة تقـوده إلـىٰ أيـام الجامعـة، ومنـىٰ تشـدو في حفـلات الكليـة، ويـاللا يـا أصـحاب.. وعـلاء عبـد الخـالق ينهـي وصـلته "جـالي مرسال الحـب ورد وفـل وياسـمين".. وحنـان تأخـذه إلـىٰ القنـاطر والشمس الجريئة.. ومنير وشـبابيك، وبـدأ يدنـدن مـع عمـر فتحـي "علـىٰ إيـدك اتعلمنـا".. راقـت نفسـه ورقـت، وشـعر بشـجن يمـلأ حواسـه، وعلـىٰ وقـع رقرقـة الـدموع في عيونـه، نظـر لنفسـه في مـرآة زوووبة فوجد الشيب قد غزا مفرقه، وفي نفس اللحظة مرت سيارة حديثـة بجـواره وبـداخلها شـاب يشـغل أغـاني مهرجانـات بصـوت عال ومزعج، وصرخ فيه:

- «انت قديم أووووي يا حاج.. بيعها واشتري توكتوك»

نظر للشاب من زجاج سيارته وزعق وقال له:

- «انت عارف ديه.. ديه تمنها كام؟ ديه بمهر أمك وهي عروسة»

وأطلق ضحكة مدوية.. مدوية، وانطلق مسرعًا كما كان يفعل أيام الجامعة.



أورجانيك

وصل إلىٰ بهو الفندق وتلفت يسارًا ويمينًا وحوله حراسه الشخصيون.. مسح البهو واللوبي والريسبشن بعينيه، ومرت هي أمام عدسة بؤبؤ عينيه.. باتريشيا الأوكرانية نادلة البار السامقة المشعة المنيرة المثيرة؛ فمال علىٰ أحد حراسه هامسًا، فانطلق الحارس ليخبرها أن عمر حبيب باشا سينتظرها في البار.. ابتسمت له وهي تسكب النبيذ لشاب خليجي يأكلها بعينيه، أما هو وصحبه فقد أخذوا المصعد ونزلوا به في جوف الفندق B3، هناك حيث بار بيكاسو.. بقي الحارسان خارج بوابه البار، ودلف هو مسرعًا حيث موقعه الوثير الأثير وكرسيه المحجوز له دائمًا علىٰ البار.. خلع جاكيته وأسدله علىٰ كرسيه وأخرج من جيب بنطاله مفاتيحه وهواتفه وأغلقها.. فتح أساور قميصه الذهبية وقفز يعتلي كرسيه علىٰ البار، تحده علىٰ يمينه يمنىٰ محفوظ الوزيرة السابقة، وعلىٰ يساره أبو جاسر شيخ آل الشيوخ، المستشار الرياضي الكروي الفني الشاعر الموسيقي طال عمره هي ها.. تبوأ عمر حبيب مقعده وسط صرخات الترحيب به من كل من في البار؛ فهو

الإعلامي المشهور المحبوب الأثير للسادة الكبار.. تقدمت منه باتريشيا وتحت الأضواء الخافتة تحسس أردافها وضمها إليه في ولع، ولثم شفتيها هامسًا:

- «أموت أنا في كييڤ»

وسط ضحكات يمنىٰ محفوظ الوزيرة السابقة الشمطاء، وهزة كرش أبو جاسر فرحًا بوصول مهرجه المحبوب.. سأله البارمان:

- «نشطف الأول وبعدين نشغل الماكينة؟»

وهنا هز عمر حبيب رأسه لتدور كاسات البيرة الدرافت المكسيكان مع شرائح الليمون، لشطف المعدة والأمعاء من بقايا مشروبات الأمس، ويهرول عمر إلىٰ الحمام للتفريغ وإكمال الشحن وبداية السهرة. خلع بنطاله وسقطت من جيبه حافظة الأدوية.. هذا للضغط وذاك للسكر، والحبة الصفراء للقلب، أما الزرقاء فهي لنهاية السهرة.. لبس بنطاله وقفل راجعًا راسمًا ابتسامة عريضة.. وصرخ في الوزيرة ضاحكًا:

- «إيه أخبار العريس يا سيادة الوزيرة؟»

فرفعت كأسها مقهقهة.

- «خلصت عليه يا عمورة وبقىٰ ينام من المغرب»

وهنا ظهر في مخيلتها طيف زوجها المسئول المالي الكبير وهو مخفور من رجال الأمن في نادي الجزيرة، وبنطاله علىٰ الأرض، وبين أحضانه إحدىٰ عاملات النظافة في النادي.. لتصب في جوفها كاسات غدر زوجها وتطلب المزيد، لتتداعىٰ أمامها كيف واتتها فكرة جهنمية تمحي بها عار فضيحة زوجها، وانهمرت وتركزت في بؤرة ذاكرتها صور الحلويات بأشكالٍ لأعضاء تناسلية، والتي طلبت من الحاجة كوثر شيف الحلويات في النادي أن تعملها، وكيف دعت كل صديقاتها إلىٰ حديقة النادي؛ لينسىٰ أعضاء النادي قصة زوجها وعاملة النظافة، ولتتحدث مصر كلها عن نادي الأكابر الذي يقدم في مطعمه حلويات بأشكال تناسلية ذكورية، وقطع حبل أفكارها ضحكات عمر حبيب مع أبو جاسر وهو يقول له:

- «أبو جاسر طال عمره ينصره علىٰ من يعاديه ويزهزه عصره هي ها»

ليرد عليه أبو جاسر:

- «ترىٰ يا عمورة لولاي ما كنت انت.. أنا من عملتك»

صمت عمر برهة وأطلق ضحكة حنجرية ليرد:

- «اعتقني الله يخليك يا أبو جاسر، اعتقني لله يا راجل»

وتلفت يسارًا ويمينًا ونادىٰ علىٰ البارمان، فأتىٰ بزجاجة الفودكا وشرائح البرتقال وعصيره. مد يده علىٰ علبة عصير البرتقال ومال برأسه لتصبح الرؤية أكثر وضوحًا، وهنا سألته يمنىٰ محفوظ ضاحكة:

- «إيه يا عمورة، هي العلبة بتنقط زيت ولا بتجيب جاز؟»

رد عليها ضاحكًا:

- «بشوفها أورجانيك ولا مش أورجانيك»
- «ما هي الفودكا أورجانيك يا عمورة.. ودلوقتي تيجي لك البت الأوكرانية تخليك تشوف الدنيا كلها أورجانيك»

وأطلقت ضحكة رقيعة وأتبعتها بشهقة وهزة نصفها العلوي بدلال، ومالت علىٰ أبي جاسر ضاحكة:

- «ولا إيه رأيك طال عمرك ودام فضلك؟»

تحشرجت الكلمات في حلق طال عمره مع لطشة بداية أول كـاس، وطفق يهري:

- «أبغي أقول إن أنا شاعر»

وهنا قطع عمر حبيب حبل أفكار أبي جاسر ليصرخ ضاحكًا:

- «شـاعر بمصـيبة جـاي لـي يـا لطيـف يـا لطيـف.. مصـيبة ماكانتش علىٰ بالي يا لطيف يا لطيف»

ونزل من كرسيه ودار حول نفسه وأخذ أبا جاسر من يديـه، ورقصـا معًا يا لطيف يا لطيف، وهنا خبطه أبو جاسر علىٰ قفاه ضاحكًا:

- «والله إنك مهرج.. مهرج كبير يا عمر»

رجعا إلىٰ كرسيهما يلهثان وسط ضحك كل من بالبار.

أشار عمر بيديه فجاء أحد حراسه علىٰ عجل حاملًا علبـة مسـتطيلة مـن خشـب الأبنـوس، ليفتحـه الإعلامـي الكبيـر ويلـتقط إحـدىٰ لفافات السيجار منهـا، ليمسـح بـه أنفـه ويتشـممها ككلـب حراسـة مدرب، ويشعلها ويأخذ نفسًا منها ويطلق ضحكة رنانة ساخرًا:

- «الله يرحمك يا جيفارا.. الله يبشبش الطوبة اللي تحت رأسك يا كاسترو»

ومال علىٰ أبي جاسر هامسًا:

- «تعرف يا أبو جاسر طال عمرك السيجار ده مر علىٰ أفخاذ الكوبيات، وسقي بعرق سمانتهن»

وهنا حاول أبو جاسر أن يظهر نفسه عميقًا وفاهمًا فقال ببلاهة يحسد عليها:

- «نعم، إنه مثل القات الذي يمر علىٰ شفايف اليمنيات قبل أن نمضغه ونستحلبه ثم نبصقه»

وهنا تدخلت الوزيرة يمنىٰ وبعد أن ذهبت الفودكا وذكرىٰ زوجها مع عاملة النظافة بكل عقلها لتهتف:

- «جوين.. افرط السيجار يا عمر ونعملها جوين.. جوين أورجانيك»

وأطلقت ضحكة رقيعة.

وقطع حديثها هرولة أحد حراس عمر حبيب وهو يحمل هاتفه ويهمس في أذنه:

- «الهانم علىٰ التليفون.. ست هانم عالتليفون يا سعادة الباشا»

فيلتقط عمر الهاتف من يديه ويهرول مسرعًا خارج البار ليستطيع سماع صوتها.

- «إيه يا أوستاز، كل ليلة سهر وسرمحة.. أخبارك بتوصلني أول بأول يا عمورة»
- «يا إيزيس يا حبيبتي أنا سهران مع أبو ناصر.. يعني شغل، شغل يا إيزيس.. هو أنا بسهر عشاني؟ ده عشان مصر»

وأطلق ضحكة مجلجلة.

- «مستنياك يا أوستاز، مش هنام.. مستنياك»
- «جاي.. جايلك يا قمر وليلتنا هتبقىٰ موز.. موز»

أغلق الهاتف وصرخ في الحارس:

- «يا ابن الكلب يا حمار قلت لك مليون مرة لما أكون سهران ومبسوط مش عاوز تليفونات من أي حد، وخصوصًا إيزيس... أهي قالت لي منتظراك.. عارف يعني إيه إنها في انتظاري؟ آه يا حوستي السوداء يانا يامَّا»

ودلف إلىٰ البار يخبط في ظلمات البار بمحمد بسيوني جاره القديم وصديق الدراسة.

- «أهلًا أهلًا يا بيسو»
- «إزيك يا عمورة»

أخذه من يده وذهب به إلىٰ كرسي بجواره علىٰ البار.

- «واحشني يا بيسو.. أعرفك طبعًا الشيخ أبو جاسر المستشار الشاعر، والوزيرة يمنىٰ»

لوح لهم بسيوني بيديه وأشاح بوجهه وطلب من البارمان:

- «هات يا سعيد زجاجة تيكيلا والعدة بقىٰ، ملح وليمون سلايس، ودلعني»

مال عليه عمر ضاحكًا:

- «إيـه يـا بيسـو يـا حبيبـي، انـت خـلاص مـابقيتش يسـاري وتركـت رئاسـة جمعيـة مقاطعـة السـلع الأمريكيـة وبطلـت تشرب فودكا؟»
- «ليه يـا عمـورة يـا حبيبي، هـي التيكيلا أمريكيـة إمبرياليـة؟ ماهي التيكيلا مكسيكية ومعمولة من الرز الأورجانيك»

وأطلـق الاثنـان ضـحكة مدويـة وأتبعهـا بسـيوني صـارخًا في سـعيد البارمان:

- «هات له يا سعيد مـزة بـيض بالبسـطرمة، بـس اوعـىٰ يكـون البيض أورجانيك»

هدأ البار واختفىٰ رواده، وحـراس أبـي جاسـر حملـوه إلـىٰ سيارته بعد أن طفق يهذي:

- «خاشقجي.. خاشقجي كبش»

ويمنـىٰ جـاء زوجهـا وسـحبها مخمـورة إلـىٰ سـيارته، وبقـي عمـر حبيب بمفرده علىٰ البار.. وسعيد البارمان يبدأ في تعبئة الزجاجـات الغالية الفارغـة بمشـروبات رخيصـة اعتمـادًا علـىٰ أن عمـر أخـذت زجاجة الفودكا برأسه. نظر له عمر بدهاء:

- «انت بتضرب الفودكا والويسكي يا سعيد؟ بتضحك علينا يا سعيد؟»

نظر له سعيد مليًّا وأردف:

- «ما انت طول عمرك بتضحك علينا، وإحنا عارفين إنك بتضحك علينا، وانت عارف إننا عارفين إنك بتضحك علينا. يا أستاذ عمر إحنا في ساقية كلنا بنلف فيها، وكلنا بنضحك علىٰ بعض»

تنهد عمر وشعر بضغط علىٰ صدره، ونظر لعيني سعيد طويلًا وقال له:

- «انت أفضل منا جميعًا يا سعيد وأكثر حرية منا جميعًا، انت تملك إنك تنتقل من عمل لآخر ومن فندق لآخر، أو إنك تقعد في بيتك وترفض الشغل. أما أنا.. أنا يا سعيد لا أملك رفاهية الانتقال إلىٰ عمل آخر، أو أقول لهم: مش عاوز ألعب، اعملوا لي ماتش اعتزال. يا سعيد أنا لا أملك رفاهية السكوت.. لا بد أتكلم.. أردد ما يقال لي. أنا

مسدس صوت يا سعيد.. أنا صانع ألعاب يا سعيد، وماتش اعتزالي لن يسمحوا لي به إلا في عمر مكرم»

وأتىٰ أحد حراسه علىٰ عجل وحمله وقذف به في سيارته بعد أن راح في غيبوبة أبدية.



كريب كرسبي

رجع إلىٰ بيته شبه نائم.. منهك مشتت الوجدان بعد مطاردة أمنية له ولأصدقائه وتم القبض علىٰ بعضهم.. جلس يلتقط أنفاسه ويلم شتات فكره، ترىٰ هل سيبلغ عنه أصدقاؤه؟ أخرج هاتفه ودخل علىٰ صفحته المزورة يبحث عن أصدقائه، اطمأن وتنفس الصعداء.. وجدهم، وجدهم جميعًا.. اتصل بأحدهم ليأتيه صوته ضاحكًا:

- «بعد انت ما زوغت من القهوة، الواد رئيس المباحث فتشنا وسألنا علىٰ حشيش، وبعدها ركبنا البوكس ونزلنا قبل ما نوصل القسم»
- «حشيش.. حشيش بس؟ مافتحش تليفوناتكم ولا كشف عن بطايقكم؟»
- «لا خالص طلع واد ابن حلال»
- «طب الحمد لله.. الحمد لله»

انشـرحت أسـاريره وقـام يصـفر ويدنـدن تحـت الـدش.. خـرج ليحتضـن طبق الفـول الـذي أعدتـه أمـه علىٰ عجـل، وفجـأة سـمع صـوت أبـواب سـيارة تفـتح ونظـر مـن الشـباك فلـم يتحقـق منهـا.. الفجر علىٰ وشك.. إنه وقتهم.. وجل قلبه واصطكت أسنانه، نقر خفيف.. خفيف علىٰ الباب؛ فصرخ:

- «مين.. مين؟»

ليأتيه صوت خفيض:

- «أنا الديلفري، شقة حالظابط الباشا محمود.. أنا من سيتي كريب والأوردر جاهز حضرتك»

انفرجت أساريره وفتح الباب وما إن أوشـك أن يقـول لـه إن الباشـا في العمارة المجاورة حتىٰ وقع نظره وسال لعابـه لرائحـة الكريـب؛ فنظـر للشـاب مبتسـمًا وأخـذ منـه كـيس الكريـب وقرضـه خمسـة جنيهات وأغلق الباب.

❊ ❊ ❊

بتاع الخزين يا بصل

ممدد هو كعصفور جريح يتنسم بعض الهواء من المروحة التي تـزن فـوق رأسـه، متمنيًـا أن يغمـض عينيـه لـدقائق دون صـداع المروحـة وتخبيط صبية الشـوارع علىٰ البـاب وضـرب الكـرة في شباكه.. ليأتيه صوتها مثل نسمة رقيقة تتسلل لتنعش روحه:

- «فينك يا بيبي؟ وحشتني»

أخذ نفسًا عميقًا وهمس:

- «بابا يا ستي أصر إني أوصل ماما وإخـواتي إلىٰ مـاونتن فيـو في الساحل.. الجو هنا تحفة.. أبعت لك اللوكيشين؟»
- «يا ريت يا بيبي.. ابعت لي اللوكيشين بسرعة»

وقطـع استرسـالها واضـطراب قلبـه صـوت أجـش قـوي ينـادي مـن الشباك:

- «بتاع الخزين يا بصل.. يا أحلي من التفاح يا بصل»

تسترق هي السمع ليداهمه صوتها:

- «بيبي انتم عاملين حفلة؟»

ليرد مرتجفًا:

- «لا يـا حبيبتـي، مامـا عاملـة كولـدير أونيـون سـوووب بالشامبنيون علىٰ روح جدو.. يا حبيبي يا جدو»

أغلقت الهاتف قبل أن يداهمها صوت أمها مؤنبًا:

- «قومي لمـي الغسيل مـن علـىٰ السـطوح وروحـي لخالتـك هاتي من عندها الجمعية، وانتي راجعة هـاتي معـاكي بعشـرة جنيـه فـول وبخمسـة جنيـه طعميـة.. قـومي يـا بـت بطلـي كسل.. قومي قامت قيامتك»

❊ ❊ ❊

يوم في حياة حباية تخسيس

شعرت بسعادة غامرة.. أخيرًا خرجت من المختبر ووجدت نفسها تتبوأ مكانها ومكانتها كملكة متوجة علىٰ زميلاتها من الحبوب فوق أرفف الصيدليات.. حباية شفط الدهون والسمنة.. تنتظر المشتري في خيلاء وزهو.. الزبون والزبونة المصرية.

والتقطها الرجل بعد أن وصفها له دكتور التخسيس، وضعها علىٰ لسانه وسرعان ما وصلت إلىٰ حلقه، وبعد دفقة ماء قليلة بدأت رحلتها المثيرة.. تدحرجت من الحلق إلىٰ المريء حيث الظلام الدامس.. رائحة حريق وآثار حروق من السجائر والحموضة، فرت مسرعة إلىٰ بوابة المعدة لتغوص في بحر من القهوة.. قهوة ثم سجائر، حواوشي، كشري، سجائر وقهوة، شاي ومعسل، ترامادول وحشيش.. فياجرا أمريكي، فياجرا بير سلم.. بانجو وعرانيس، كبدة ومخ، فياجرا صيني، لحمة رأس وكوارع، عسل وفياجرا بلدي وجنسنج.. حواوشي وكشري. تجولت حباية التخسيس محتارة ملتاعة ماذا تفعل في معدة الرجل المصري وسط

هـذا الظـلام الـذي يلـف معدتـه.. ثـم سـرعان مـا خرجـت مسـرعة لتدور في تلافيف أمعائه.

حباية أخرىٰ اعتبرت نفسـها أوفـر حظًّا فقـد اشـترتها سـيدة مصـرية راقيـة ورقيقـة.. رقصـت فرحًـا بمجـرد مـا وضـعتها السـيدة فـوق لسانها، وبدفقات ماء متتالية تزحلقـت.. طاقـة نـور وبعـض البخـور وكحـل يخضـب المـريء، وروج وزبـدة كاكـاو ومسـتكة وحبهـان وحنـاء يسـتقبلونها علـىٰ أبـواب المعـدة.. وصـلت إلـىٰ المعـدة بالسلامة؛ لتغوص في بحـر مـن البشـاميل.. بشـاميل وبانيـه وبيبسـي دايت عشان الدايت.. مغات، وكمان موجات من المغات، وسفن دايـت عشـان الـدايت.. محشـي كرنـب وكوسـة وورق عنـب، واسبرسو بلاك عشان الدايت.. دقية بامية وطاجن ملوخيـة ورقـاق وفطير مشلتت وبعدهم برميـل قهـوة سـادة عشـان الـدايت.. فيشـار من سبوع حمادة، وتوفي وبونبـون مـن سـبوع فريـدة، وموكـا بـروان شـوجر عشـان الـدايت.. شـكولاتة، وكمـان شـكولاتة وشـكولاتة

وشكولاتة، وبعدها أميركان كوفي بلاك عشان الدايت.. وقفت حباية التخسيس تلطم وجهها وتشد شعرها وتصرخ:

- «منك لله يا شيخة، أشفط إيه وأفتت إيه وأسيب إيه؟ أنا عاوزة أمشي من البلد ديه.. ماليش تاريخ صلاحية ولا تأثيرات فعالة في مصر»



نونية أطفال

تدحرج علىٰ سلالم بيتهم متوشحًا بوشاح يغطي نصف وجهه.. يريد أن يصل إلىٰ الكورنيش ليشم هواء النيل.. يريد أن يرىٰ النيل ويستمتع بنسماته. وجد ضالته في الزمالك، أبو الفدا هادئ وقليل المارة.. جلس يجمع شتات فكره وكيف وصل من بلده في أقصىٰ الجنوب ليصبح صحافيًّا ومقدم برامج لامع.. ويقطع أحد المارة حبل أفكاره وهو يصرخ علىٰ بائع حمص الشام وأسراب المارة:

- «الحق يا جدع حامد موسي أهوه.. المذيع أهوه»

وتجمع المارة بعضهم يطمع في سيلفي وآخرون يطمعون في تحويل قفاه إلىٰ بئر بترول.. فطن لما سوف يحدث معه وخصوصًا بعد تحويل قفاه إلىٰ آبار عميقة للبترول من كثرة الطرقعة والدق عليها أثناء سفرياته خارج مصر.. دفعهم وجرىٰ، جرىٰ والناس وراءه في محاولة لاصطياده.. يقفز إلىٰ النيل يسبح.. يسبح بعنف وقوة، يأتي أوتوبيس نهري كاد يشطره نصفين، هرب منه واستمر في السباحة.. وصل ماسبيرو، وعندما هم بقطع الشارع.. جاءت

مقطورة عملاقة وهرسته.. سيارة إسعاف خرجت علىٰ عجل من ماسبيرو، حملته وانطلقت بأقصىٰ سرعة لتخرق سور مترو الأنفاق وتقف علىٰ القضبان، ليأتي المترو بأقصىٰ سرعة ويفرمه. يموت.. يتحلل.. يتحول إلىٰ بترول نصدره للصين لتصنع منه لدائن، ومن اللدائن تصنع شباشب حمام وفلايات.. يظل هكذا شبشب حمام حتىٰ يبلىٰ ويتقطع، يبيعونه لبائع الروابيكيا فيقطعه قطعًا صغيرة ويرسله لمصنع تدوير النفايات والبلاستيك، ليحوله إلىٰ نونيات أطفال.

تمر الأيام والسنين ويأتي يوم الموقف العظيم.. الناس كلها منتظمة للمرور علىٰ الصراط إلا هو؛ فملائكة المرور يدفعونه بعيدًا ويقولون له:

- «لم تصدر الأوامر بعد، ستظل هنا في الصحراء المترامية بين الجنة والنار»

صرخ فقد وجده.. وجده يتأرجح بين الجنة والنار.. أبو العيون صاحب شركته. نظر له أبو العيون ثم بصق.. وجد زميله إبراهيم موسىٰ يتأرجح علىٰ الصراط ملتاعًا من هول ما يحمله من ذنوب وشحوم، وسرعان ما يسقط و"يعمل طرطشة كبيرة أووي في

النار".. ويخرج وقد حرقت حمالاته. يبحث عن زوجته، أبنائه.. فلا حياة لمن ينادي. يتقهقر.. يتراجع ويصرخ:

- «معقول هفضل كده زي الكلب الجربان.. لا جنة ولا نار؟ واللي داخل الجنة يتف عليًّا واللي داخل النار يبول عليًّا.. سامحني يا رب»

ويتلاشىٰ.. يتلاشىٰ صوتًا وصورة.



أرواح شريرة

في بداية حياتي المهنية اشتغلت في عمان في السياحة، والسوريين وخصوصًا الدروز كانوا شطار جدًّا في العمل في السياحة، وكان مسئولي المباشر درزي.. وفي مرة كنا قاعدين في البريك وبننتظر الغدا وقمنا نستلم غدانا، وكان الغدا ملوخية.. الملوخية الشامي مش بيخرطوها مثلنا؛ فأنا أخدت رز وفراخ ورفضت الملوخية، ومديري الدرزي زعق للشيف وقال له:

- «قلت لك مليون مرة لما تطبخ ملوخية تقول لي»

أنا بصراحة استغربت من ثورته وزعيقه مع الشيف، أخدني في إيده ورجعنا ترابيزتنا وبدأ يهدا وينظر لي ويبتسم ويقول:

- «برافو عليك منيح إنك ما بتاكل الملوخية، هي الملوخية ملعونة.. معلونة اتزحلق فيها العجل»

أنا بصراحة اذبهلت.. ملوخية وملعونة واتزحلق فيها عجل! هو في إيه؟ وهمس لي احدهم:

- «من شعائر الدروز أن لا يأكلوا الملوخية بتاتًا»

ومع أول ترقية أصبحت مدير مطعم صيني.. مرتب أعلىٰ وبوزشن أعلىٰ وبرستيج.. المدير السابق الصيني سلم لي مكتبه، والأثاث والمكتب في غاية الروعة.. جلست علىٰ المكتب لأتفقد الورق وأستوعب المكان، ومسحت الغرفة والمكتب والأجهزة بعيني وثبتّ عيني لبرهة علىٰ تمثال نصفي لبوذا بكرشه المتدلي وضحكته البلهاء، يعتلي ترابيزة صغيرة بجوار كرسي مكتبي.. ودق الباب كبير الشيفات وكان هضبة جامدة من هضاب التبت، وبعد أن رحب بي بذوق ودماثة منقطعة النظير أتىٰ بصينية كبيرة بها فواكه استوائية في منتهىٰ اللذة والجمال، ووضع الصينية بجواري أمام تمثال بوذا وأشعل بعض البخور الاستوائي، وشكرني بابتسامة الصينيين التي كلها دعة ووداعة.. وخرج بعد أن شكرته علىٰ هديته. استفردت بالصينية لوحدي وهات يا تفصيص ولهط.. تاني يوم أتىٰ الشيف بنفس الصينية ووضعها أمام بوذا، وهو يتفحص الترابيزة والصينية الفارغة والمكتب بعيون زائغة ونظرات متسائلة، وشكرني وخرج واستفردت أنا برضه بالصينية، وثالث يوم دخل

الشيف بنفس الصينية والفواكه ووجدته ملتاع وخائف وبدأ يتنطط ويهرتل بالصيني والإنجليزي:

- «أرواح شريرة.. أرواح شريرة»

في إيه يا عم مالك؟

الحمد لله علىٰ نعمة الملوخية والأرواح الشريرة.



آيرش كوفي

وأنا في سنة ثانية في الجامعة طلعت بمادتين، ولازم أتأخر عشان أمتحنهم دور ثاني، وتأخيري يعني عدم مقدرتي على السفر لعمان حيث والدي ووالدتي، وطبعًا والدي لو عرف إني طلعت بمادتين هيقلب الدنيا فوق راسي.. أوووم شدت له تليغراف:

- «والدي العزيز أعتذر عن عدم حضوري إليكم في عمان لأسباب مرتبطة بإني قررت أنتظم في دراسة سنة ثالثة من الإجازة الصيفية.. سنة ثالثة صعبة جدًّا يا بابا وعاوز أجيب تقدير.. في انتظار المصروف ورسوم الجامعة والكتب وشوية بنطلونات وقمصان، وماتنساش النظارة الريبان اللي قلت لك عليها.. سلامي لست الحبايب ولإخواتي.. ابنكم سيد»

يادوبك ثلاث أسابيع ووصلتني الفلوس ولا أدري ماذا افعل.. فراغ وزهق طول الوقت.. وهوووب ثاني يوم الصبح أنا واثنين

أصدقائي كنا نلف في قصر النيل وطلعت حرب علىٰ شركات السياحة، للحصول علىٰ فيزا لأوروبا؛ أي دولة في أوروبا.. شهر اثنين ثلاثة.. لا يوجد سوىٰ فيزا لقبرص.. ياللا بينا علىٰ قبرص. سافرنا ونحن نمني أنفسنا بالعمل في مزارع العنب ومصانع النبيذ، وصلنا نيقوسيا وكان الجو بارد جدًّا والشوارع شبه خالية.. وأثناء رحلة البحث عن عمل صادفتنا بنت إسكتلندية، وأنا كنت أشطر واحد في الشلة في الإنجليزي.. وكلام ورغي وسألتها عن الرجالة اللي بيلبسوا جيبات في إسكتلندا، وضحك واستظراف.. العيال صحابي زهقوا وتركوني وذهبوا للفندق.. عزمتها علىٰ كافيه.

- «تشربي إيه؟»

قالت للويتر:

- «سنجل نون ألكحوليك آيرش كوفي، سكميد ميلك براون شوجر أون ذا سايد»

الويتر نظر لي قلت له:

- «زيها باااالظبط»

تركتها علىٰ وعد بمقابلة ليلًا.. هرولت إلىٰ الفندق وأنا أردد جملتها بيني وبين نفسي.. "سنجل نون ألكحوليك آيرش كوفي براون شوجر أون ذا سايد". أيووون علشان لما أقابلها تاني أطلبها لها علىٰ طول وأهو كلمتين نعمل بهم منظر مع البنات في مصر.. "سنجل نون ألكحوليك آيرش كوفي براون شوجر أون ذا سايد".. وصلت إلىٰ الفندق فوجدت أصدقائي يلهون في لوبي الفندق ويتفاوضون مع بنات ليل من شمال إفريقيا.. تركتهم وصعدت غرفتي، وفي ردهة الغرف وجدت مجموعة شموع مضيئة.. أخذتهم إلىٰ غرفتي وأغلقت الباب.. مع أصوات برق ورعد شديد في الخارج وهطول غزير للمطر ورياح قوية.. أطفأت نور الغرفة وبدأت أردد: "نون ألكحوليك آيرش كوفي براون شوجر أون ذا سايد.. نون ألكحوليك آيرش..."، وفجأة رياح شديدة فتحت الشباك بعنف، وخيال الشموع انعكس علىٰ الحائط شبه مائل، راسمًا أشكالًا غريبة، وظهرت صورة ستي الله يرحمها وهي بتقول لي:

- «نام.. نام لحسن تتلبس يا ابن الكلب يا أهبل»

قفلت الشباك وأنا مرعوب، وغطيت راسي وأنا بقرأ المعوذتين وعدية ياسين وكل الآيات التي حفظتها في القرآن.

❊ ❊ ❊

نوبل

وطيرت وكالات الأنباء الخبر: حصول كاتب مصري مغمور بسيط علىٰ جائزة نوبل في الآداب، عن مجموعته القصصية "مزرعة المكرونة"، وكتابه "الظل الثالث". دق قلبي ثلاث دقات.. رحت في سبات عميق، انتفض عقلي ولاحت في أفق الوجدان ضلالات وهزاءات، ماذا سأفعل بفلوس الجائزة؟ أطفال أبو الريش ولا ٥٧٣٥٧؟ وحفلات واحتفالات واحتفاء المؤسسات الثقافية والقنوات التليفزيونية بابن مصر البار الحاصل علىٰ نوبل.. سأتبوأ كرسي الرائع العظيم صنع الله إبراهيم وأدعي الموافقة علىٰ تكريمي، وأمام عدسة الكاميرات سأنظر في بؤبؤ الكاميرات صارخًا معلنًا رفضي للتكريم قبل أن يكرم كل المعتقلين ويخرجوا من السجن، وأرفض الدرع الذي ستقدمه لي وزيرة الثقافة وأنزل من المسرح منتفخًا.. سأجمع كل أصدقائي الحرافيش ونجلس في البستان في مدخل الممر الضيق الموصل إلىٰ ريش.. وترنو عيني إلىٰ جوفه مع اهتزاز ستائره التي تفصل رواده عن رواد البستان.. سأرفض كل الضغوط لزيارة الكيان..

سأقتطع من الجائزة عشين ألف جنيه وأشتري ١٢٨ حمرا أخمس بها قدام الاتحادية، وأطلب من داري الفاروق والمنتدي للنشر أن نغير العقد، وأطلب خمسة جنيه زيادة علىٰ كل نسخة.. خير اللهم اجعله خير؛ هو أنا نمت وأنا ممدد في الريسبشن ولا إيه؟

❊ ❊ ❊

راحة

جلس في بلكونته يتابع وريقات ريحانته وهي تتمايل بفضل نسمات الصباح الرقيقة، ويمد بصره إلىٰ الحديقة التي تتوسد نهاية شارعهم.. بداية الربيع والطقس يميل للدفء، وأوراق الشجر تتلون بألوان زاهية، ووجوه الناس تشع بالسعادة والحبور.. سيدة تبدو من ملامحها وملابسها أنها سليلة طبقة مخملية، تنزل من سيارتها ومعها ابنها، يتحركون؛ لا بل يتقافزون فرحًا وسعادة ميممين صوب الحديقة، وهو يجري وهي تلاحقه ضاحكة:

- «ادخل.. ادخل»

وهو يجري صوب نهاية الحديقة بسعادة وشقاوة ورشاقة، وهي تلاحقه بضحكاتها وتغمره بحنانها، حتىٰ وصل إلىٰ جوار شجرة ضخمة ووقف بينها وبين نخلة سامقة ونظر لأمه، وهنا هتفت هي:

- «تمام.. تمام هنا كويس»

وهنا توقعت أنا أنها من الأكيد ستخرج هاتفها لتلتقط له عدة صور، ليداهمني صوتها الضاحك:

- «بس.. بس يا حبيبي اقلع هنا وبراحتك خالص، أنا مستنياك أهو»



سلام ونهضة

اصطف تلاميذه ومريديه متشحين ومتشحات بالسواد، يعزون ابنته ويـذكرون مناقـب الفقيـد وأدواره الاجتماعيـة والثقافيـة، وكتبـه ومحاضـراته وأبحاثـه.. ومـا إن تحـرك الـنعش صـوب القـبر حتـىٰ هتفوا جميعًا:

- «لروحه السلام.. لروحه السلام»

وهنا نهرهم التربي صارخًا:

- «السـلام.. النهضـة.. العبـور، كلهـا نفـس الأجـرة. المهـم نتاوي المرحوم»

❊ ❊ ❊

سكينة

تجول في الموسكي والعتبة وقَفَل راجعًا درب البرابرة.. عرج علىٰ باب الشعرية، يكحل عينيه بوجوه الناس وتشنف آذانه أصوات البائعين.. يتنفس، يتنفس كما أنه لم يتنفس من قبل.. تدور عيناه وكانه يريد أن يطبع كل المشاهد في قلبه.. قابض علىٰ يد ابنه الصغير، يحمله، يداعب ظهره.. يتحسس يده الصغيرة ويهمس في أذنه:

- «أي حاجة بعشة ونص»

ليضحك ابنه.

- «بعشة ونص وتعالىٰ بص يا بابا»

وقف أمام فرش للسكاكين والمفكات.. السكاكين تلمع، تلمع. تخطف عينيه، يمد يده.. يمرر أصابعه علىٰ نصلها.. حادة كالحسام. امتقع وجهه، تصبب العرق من جبينه وغار قلبه.. التفتيش، والضابط هشام سيجدها في متعلقاتي.. توبيخ وتأنيب

وتحقيـق وضـرب.. سأوضـع في التاديـب.. قضـية جديـدة سـيتم تدويري فيها، وسأحاكم.

سكينة.. من أحضرها لك؟ كيف وصلت إلىٰ زنزانتك؟ فيمَ وكيف تستعملها؟ من سـمح لـك بمرورهـا؟ رمىٰ السكينة.. جلس علىٰ الرصيف محتضنًا ابنـه.. تعلقـت عيناه بالمـارة.. عينـه تتوسـلهم أن يدثروه، ومع أصوات الباعـة "بعشـة ونـص وتعـالي بـص"، وقـف يقفـز في الهـواء ويتلـوىٰ ويـدب في الأرض، ويصـرخ في ابنـه وفي المارة:

- «أنا في العتبة، ولست في طرة.. أنا في العتبة ولست في طرة»

واختفىٰ بين المارة يحتمي بهم.

❊ ❊ ❊

صلاة النبي أحسن

كتبت لي:

- «آسفة، لا أستطيع أن أكمل؛ فنحن مختلفان اختلاف الليل والنهار والحركة والسكون.. حاولت، ولكنك مستفز.. ولن تضيف لي. عقليتنا مختلفة وتفكيرنا مختلف»

رددت:

- «نعم أعترف أننا مختلفان حد الشاطئين أبو العلا والزمالك.. لا، لا أقصد طبقيًّا وإنما فكريًّا وثقافيًّا.. أنا وسطي محافظ وأقيم الصلاة في المساجد، وفي محراب عينيك وعند تهدج صوتك أغفو، وأنتِ لا دينية.. تؤمنين بالواحد الأحد ولكن لا تؤمنين بأي دين.. أنا أرىٰ أن خير الأمور أوسطها، وأنتِ متطرفة الهفوات.. كانت أوائل الجمل بيننا: "نحن لسنا لبعض"، واتفقنا علىٰ ألا نتفق.. تغلقين الباب ثم

سـرعان مـا تـأتي رياحـك عاصـفة لتشـرعيه للشـمس والهـواء والهـوىٰ.. ألـم نتفـق علـىٰ أننـا مختلفيـن؟ اتفقنـا علـىٰ أن اجتيـاح القلـوب لـيس سـوىٰ نـداء السـماء، أمـا احـتلال العقـول فهـو أداة شـياطين الإنـس.. أمجنونـة أنـت؟ هـل تطمحـين لاحـتلال عقـل... عقـل نقشـت بصـمتها عليـه ميريـت وسـانت تريـزا وأسـماء وزينـب وزبيدة.. زبيدة.

أتدرين يا عزيزتي حتىٰ اللحظة أستشيط غضبًا لمجرد مرور طيف زبيـدة متأبطـة زراع مينـا.. أنـا أرىٰ أن الـتراث لا بـد أن ينقـىٰ، وأن تكف الغربان عن لعق جراحنا، وأن التنوير كلمـة.. كلمـة حق في وجهك ووجه كل سلطان جائر.

فلنتفـق علـىٰ أننـا اختلفنـا في كـل شـيء إلا عشـق دقيـة الباميـة وصـوت فـايزة.. فلنكتـفِ بصـهيلها مـع نسـمات العصـاري، وفنجـان قهـوة.. ولنهتـف معًـا: يسـقط التراثيـون والتنويريـون الغربان المتنطعون»

ردت:

- «أريـد أن أخـبرك يـا عزيـزي أننـي الآن حفظـت جـزء عــم، وإنجيــل متــىٰ، وأبحــث عــن التــوراة والزبــور لنقـرأهم معًـا.. صـحيح هـو انـت ليـه بتـأخر الصـلاة ولا تصليها في وقتها؟»

احترت كثيرًا في رسالتها الأخيرة، فكتبت لها:

- «صلاة النبي أحسن»



سلامات يا مصر

غـرا صبيا وهـو في أولـىٰ ثـانوي في عمـان كانـت زيـارة السـادات للقدس، وكانت الأجواء كلها معبأة ضد السادات، ولأن السوقة وصغار السن لا يفصلون بين شخص السادات وشخصية مصر، كان السباب له ولمصر.. ولأنني مثلهم كنت صغيرًا فكنت أدافع عن السادات معتقدًا حينها أنني أدافع عن مصر، خلطة كده غريبة.. هما يشتموا السادات ومصر وأنا أدافع عن مصر في شخص السادات. المدرسة كلها طلبة ومدرسين وأنا وحيد، وكل يوم أرجع البيت ملابسي ممزقة حتىٰ انتهت تلك الإشكالية المدرسية بأن طعنني أحد زملاء المدرسة بسكينة في رحلة للبحر الميت.

في أوائل التسعينات وبعد زواجي قررت الانفصال عن العائلة، وأجَّرت شقة في صفط اللبن، وطلعت نصباية.. ولازم أروح كل شهر لأسترد جزءًا من فلوسي التي نصبت عليَّ فيها الولية صاحبة العمارة، ولأدخل صفط كنت أمر من طريق كوبري الخشب الذي يربط بين بولاق وشارع السودان، وفي يومٍ أعلن مطار القاهرة عن

قبول تعيينات بمؤهلي. هرولت تجاه المطار فوجدت مصر كلها هناك، طوابير من قرية البضائع حتىٰ مبنىٰ المطار القديم، وكانت استمارة التوظيف بخمسين جنيه، وهو مبلغ لو تعلمون كان كبيرًا؛ فقد كان مرتبي وقتها مائتي جنيه، يعني دفعت ربع مرتبي.. دفعت ثمن الاستمارة وكلي أمل بالتعيين رغم الأعداد الغفيرة التي ائتمت المطار، وفوجئت في نهاية اليوم أن كل من قدم للوظيفة لن يعين، وأن هناك أربعة من أبناء اللواءات والمسئولين العاملين بالمطار قد تم تعيينهم بالوظائف الشاغرة، وأن إعلان الجرائد لم يكن سوىٰ إجراءٍ روتيني ليس أكثر. خرجت من الطابور وأنا ألعن صاحبة العمارة ومسئولي المطار، وقررت أن اذهب للولية النصابة صاحبة العمارة لأخذ جزءٍ من فلوسي أعوض بها نصباية المطار. وصلت شارع السودان وطلعت الكوبري الخشبي، وفي نصف الكوبري وجدت ولدًا وبنتًا من الأجانب يصورون الزبالة التي تعلو الأسطح في بولاق والمنازل المتهالكة.. وقَّفتهما ومنعتهما وتخانقت معهما، وسخنت عليهما العيال بياعي المناديل والأمشاط والفلايات فوق كوبري الخشب، وقلت لهم:

- «دول بياخدوا الصور وينشروها عشان يسيئوا لسمعة مصر»

وجرينا وراهم أنا والعيال، وضربناهم بالطوب لغاية آخر شارع السودان.. كله إلا سمعة مصر. مشيت في شارع همفرس في بولاق وأنا منشكح لأني حافظت علىٰ سمعة مصر، ووصلت للولية النصابة صاحبة العمارة أستعطفها لتدفع لي جزءًا من فلوسي أكمل بها الشهر بعد نصباية المطار.. وبعدما حكيت لها ما حصل لي في المطار وعلىٰ كوبري الخشب، عشان أحنن قلبها تزود لي دفعة من المبلغ.. الولية ضحكت ضحكة رقيعة.. رقيعة جدًّا وقالت لي:

- «سلامات يا مصر.. سلامات يا مصر»



إزيك.. وإزاي أمك

خوووود ياض.. قفشتك.. انت بتعمل إيه في صفحتي؟ بتلف وبتدور علىٰ إيه في الصفحة؟ هو انت ياض مش بعتّ ولاد أختك البنات يشتموني في الـ other؟ وانت داير عالصفحات تشتمني وتقول عليا كاتب شعبوي ولا يجيد استخدام التورية والتناص.. أيواا يا سيدي أنا كاتب شعبوي.. طبيعي إني أكون شعبوي.. واحد زيي بيعتبر عم فرغلي بتاع البطيخ اللي علىٰ ناصية شارعنا هو أهم مصادري للاطلاع علىٰ أخبار البورصة وأسعار البرنت، والخام والأسواق العالمية لاستكشافات الغاز الدولية ومصادر الطاقة.. واحد زيي لما بيحب يدلع نفسه بيخطف رجله لغاية بجة في الناصرية، وعلىٰ سمفونية ضربة المعلقة في طبق الشوربة وأزيز قطعة الكبدة تحت أسناني أسمع من عمال بجة عن رحلاتهم للفورسيزون التي يقدمها لهم الحاج هشام طلعت مصطفىٰ والـfull board في أوتيله.. أسمع منهم عن رحلات الحج والعمرة

التي ينظمها لهم المقدس نخنوخ.. أيووون أنا شعبوي، وسيدي وتاج رأسي ومثلي الأعلىٰ عم خليفة بياع الفول في شارعنا.. شارع العطار في شبرا.. عم خليفة عربيته مختلفة عن كل عربيات الفول في بر مصر، عربيته بيجرها حمار.. عم خليفة كفيف، أكلت المياه البيضاء التي سرعان ما تحولت إلىٰ مياه زرقاء عينيه الاثنتين.. يخرج بعد الفجر بالعربية والحمار من بيته في الأميرية ومنها حيث المستوقد في مسطرد، ياخد قدرة الفول ويسوق العربية والحمار يعرف طريقه.. يمر من علىٰ كمين المؤسسة وكمين كوبري عرابي وكمين عبود، ويصل إلىٰ آخر شارع أحمد حلمي ويعرج علىٰ شارعنا؛ شارع العطار.. ويدخل حارة أحمد السيد يخفي الحمار خوفًا من البلدية.. مش مهم قدرة الفول ولا العربية.. أهم حاجة الحمار، هو عينيه وسنده وعكازه.. طب بذمة ميتين أهلك أبقىٰ شعبوي وأصدق عم خليفة ولا أصدق كل سياسيي الأنظمة والمعارضة العربية؟ مرة حاولت وأنا صغير أعمل نفسي صحفي شاطر وأعمل ريبورتاج عن عم خليفة، وصور وأحاديث وأعمل خبطة صحفية.. الراجل نظر لي بعتاب وقال لي:

- «ماتفتحش عينهم عليا يا سيد يا ابني.. خلينا كده ناكل عيش ونأكل الحمار»

ثم يا أخي هو نجيب محفوظ لما كتب الثلاثية كان شعبوي.. طب محمد عبد الحليم عبد الله لما كتب الشارع الجديد كان شعبوي.. عبد الحميد جودة السحار لما كتب ثنائية أم العروسة والحفيد كان شعبوي»

- «ليه، هو انت فاكر نفسك نجيب محفوظ؟»
- «بص ياض، آه أنا شايف نفسي نجيب محفوظ والسحار وعبد الحليم عبد الله وعزيز نيسين، وألبير كونتي وإيميلي برونتي وإحسان، بس عمري ما شوفت نفسي مصطفىٰ محمود ولا أنيس منصور ولا حتىٰ توفيق الحكيم.. عارف ليه يا حمار؟ لإني عمري ما حسيتهم.. ثم انت زعلان ليه؟ ما هو الرواية والمجموعة القصصية موجودين في دور النشر ونازلين قص ولزق وتفصيل فيهم عشان يبقوا علىٰ مقاس دماغك يا بطيخة.. يا ابني ابعد عني إحنا جيل شاف الويل، جيل كان بيعتبر مصطفىٰ بكري مناضل عظيم، وكان بيعتبر إبراهيم عيسي المهدي المنتظر.. إحنا حفرنا

الصخر لنصل للحقيقة.. حقيقة ذواتنا.. أما بخصوص التورية.. التورية، كيف لي أن أكتب بتورية وكل شيجن انكشفن وبان؟ كله واضح.. واضح وضوح الشمس.. تورية ليه؟ وبأمارة إيه؟ ياض ده أبي أحمد بيقولك هيبني مائة سد. تورية ليه ده قطر طلعت مش بنت ديرتي.. تورية إزاي وإحنا عندنا المتهم بالقتل بيتقبض عليه وتحقق معه النيابة ويتحول للمحكمة، ويخلص كل درجات التقاضي من استئناف ونقض ويتحكم عليه، ويطلع في سنتين.. أما المعتقل السياسي فيتقبض عليه ويجدد له الحبس كل ٤٥ يوم لغاية ما يخلص سنتين، وهي مدة الحبس وفقًا للقانون سيئ السمعة والصيت (الحبس الاحتياطي)، وبعد كده يطلع؟ لا أبدًا.. بندوره في قضية مفبركة جديدة. تورية إزاي لا مؤاخذة وعمرو أديب ركب مع العفش في موكب المخابرات المصرية إلىٰ غزة عشان ياخد اللقطة ويتصور جنب أبو العبد إسماعيل هنية.. تورية وأحمد موسىٰ بيقولك: "أتوق إلىٰ أن أستشهد علىٰ أعتاب الأقصىٰ"، أحمد موسىٰ اللي ربنا إن شاء الله مش هيدخله جنة ولا نار.. ربنا بمشيئتة تعالىٰ سيتركه هكذا في الصحراء اللا

متناهية بين الجنة والنار.. اللي داخل النار يضحك عليه واللي داخل الجنة يطلع له لسانه. تورية إزاي بعد ما قردغان أصبح بقدرة قادر الرئيس أردوغان.

فهمت ياض؟ ياللا خد باب الأكاونت في إيدك واوعىٰ تدخل صفحتي تاني، وقول لبنات أختك يبطلوا شتيمة في الـ other لأحسن أنا في دماغي كلبين ملظلظين، لو طلعوا عليهم هيعضوهم في التوتا.. وماتنساش تسلم لي علىٰ أمك.. إزيك وإزاي أمك؟



بيمبو وزير السعادة

في قيلولة الظهيرة، وتحت المكيف ممدد هو كعصفور وليد، لا يبالي بما مضىٰ وبما هو آتٍ ليرن هاتفه.

(ترررررن.. ترررررن.. صوت نسائي حنون دافئ)

- «الأستاذ بيمبو، مساء الخير يا فندم»
- «يا مساء التفاح.. مساء الفل.. طب ما تيجي إنبوكس يا باشا»

ضحكة رقيعة وبعدها همسة:

- «أستاذ بيمبو أنا بكلمك من رئاسة الوزراء»

ورفعت صوتها قليلًا:

- «أستاذ بيمبو، قرر السيد رئيس الوزراء المكلف ترشيحك وزير في الوزارة الجديدة»
- «وزير.. وزير.. وزير إيه إن شاء الله؟ بلاش تهريج ومعاكسة»

- «يا فندم أنا بكلمك بشكل رسمي، السيد رئيس الوزراء قرر تعيينك وزير السعادة في الوزارة الجديدة، ويدعوك لحلف اليمين أمام القيادة السياسية غدًا في العاشرة صباحًا»
- «وزير السعادة زي الدولة الإسكندنافية والإمارات وكده؟ وأنزل أوزع دراهم وريالات وورد وابتسامات علىٰ الناس في الشارع؟ يا حلاوة يا ولاد.. بقولك إيه يا بنتي لو بتشوفي رئيس الوزراء المكلف قولي له بيمبو موافق، بس عنده شوية شروط صغنتتة عشان يوافق عالوزارة»
- «شروط إيه يا فندم؟ ده حتىٰ حضرتك هتاخد وزارة جديدة وكلها قلش وفرفشة وسعادة.. شروط إيه سعادتك؟ ممكن تقولهالي عشان أوصلها للسيد رئيس الوزراء»
- «بصي يا سنيوريتا بلغيه إن بيمبو موافق عالوزارة بشرط تحقيق كل طلباته»

ورفع صوته هاتفًا:

- «هـي تقريبًـا الطلبـات التـي سـتحقق السـعادة للشـعب المصـري، وهـذا صميم عملـي كـوزير للسـعادة.. لا بـد ولازمًا في الأول يتم الموافقة علىٰ خطتي لإسعاد الشعب المصـري، والتـي تشـمل أولًا: إرسـال حـالًا وفـورًا طقـم لانشات وغواصين وضفادع بشـرية، لتعـويم الجنيـه ومنعـه مـن الاسـتقرار في القـاع، وإخراجـه إلىٰ الشـاطئ وإنعاشـه. ثانيًا: منع النت عـن كـل جروبـات الميميـز في الـواتس؛ لأن تلك الجروبات كفيلة بإشعال الحرب العالمية الثالثة. قرار من وزير السعادة بإنهاء عقد كلًا مـن أحمـد موسـىٰ وعمـرو أديـب ووضـعهم قيـد الإقامـة الجبريـة في بيـوتهم، ويحكـم عليهم بأن تعرض برامجهم أمامهم ثلاث مـرات في اليـوم.. أما بخصوص إبـراهيم عيسـىٰ فيـتم قـراءة مقالاتـه وعـرض تسجيلات له قبل وبعـد ينـاير، وسـؤاله عـن مصـدر أموالـه. قرار وزير السعادة بقطع النت عن مصر، وهذا القرار كفيـل بإسعاد المدرسـين والطلبـة وأوليـاء الأمـور، والفلاحـين في مزارعهـم والعمال في مصانعهم، والميميز المتـدفئين حـول مواقـدهم في جبـال الألـب والجلالـة والمقطـم. قـرار وزيـر السعادة ولإسعاد بعض الناصريين وكل السيساوية باعتقال

كل الإخوان، ولإسعاد الإخوان نصدر قرار باعتقال كل مصر، ولإسعاد الثوار قرار بحبس كل الفلول، ولإرضاء الفلول وإسعادهم قرار باعتقال وشحططة وبهدلة كل الثوار»

وجاء صوت مبعوثة معالي رئيس الوزراء مرتعشًا:

- «يا لهووووووي، انت عاوزني أنقل الكلام ده لرئيس الوزراء يا فندم؟»
- «روحي يا بنتي قولي له: بيمبو كبيره يسعد قراؤه بقصة زي ديه.. وغير كده بلح»



تامر بتاع غمرة

حالة من القلق والأرق تتملكني.

مشغول وتأكلني الهواجس وتتقاذفني الأنواء، قلبي لا يطاوعني علىٰ ألا أبحث عن تامر بتاع غمرة وأطمئن عليه.. أين تامر الآن؟ يا ترىٰ انت فين يا تامر؟ ترىٰ هل أصبحت عضو لجنة عفو، هل شاركت في الحوار؟ أصبحت قياديًّا في مستقبل وطن، لاعبًا من لاعبي نادي فيوتشر، ضيفًا أساسيًّا في مؤتمرات الشباب؟

مرعي بتاع الكليمة أين هو؟ طلع معاش، عمل أكاونت فيك وبيتلصص منه علىٰ البنات وبيشتم القرموطي وكل قرموطي، ولا مات في رابعة؟ بعد ما عرفت وشوفت سيد محمد إبراهيم بيطرد الإنجليز من القنال وبيصرخ: "اوعىٰ تقرب اوعىٰ تفوت".. فين بقىٰ سيد شطا وعمل إيه؟ دخل الاتحاد الاشتراكي وبقىٰ وزير في حكومات مبارك، ولا هو من أسر وقبض علىٰ قائد الأسطول السادس الأمريكي؟ ماحدش يا ولاد شاف سيد مرزوق؟ يا ترىٰ انت فين يا مرزوق؟

زهـران والهلبـاوي اشـتروا أرضًـا في الإدارية وبنـوا برجًـا كبيـرًا وزرعوا نخلتين أمامه وكتبوا عليه "دنشواي بالمز".

الأورانوس يشغي بالمصريين يسار ويمين.. جوني تشتري كلب، أشتري كلب جوني.

جول جمال ومحمد الماغوط تشاركوا في مطعم شاورما وحمص وفتوش في المهندسين.. عبد العاطي صائد الدبابات أم المصلين في صلاة العيد، ودعىٰ: يا رب نصلي العيد القادم في المسجد الأقصىٰ.. خرج محمد ضيف من بين المصلين وبلكنة فلسطنية هتف: "مش راح نفوتكم يا مصريين وراح نسكر المعبر".. إبراهيم عيسىٰ يقود مظاهرة للمصريين ويقتحم المعبر بحثًا عن الضباط المصريين المحبوسين تحت أبراج غزة.

مرة إبراهيم عيسىٰ قال بنفسه بذات نفسه وبعضمة لسانه إنه اتفق مع مطبعة في مصر القديمة لطبع بوسترات ومنشورات (علىٰ قديمه) بصور لعمر سليمان، وتطالب بترشيحه للرئاسة منعًا لتوريث جمال.. مش مهم جمال فين ولا عمر سليمان راح فين ولا إبراهيم عيسىٰ بيعمل إيه.. أنا عاوز أعرف الراجل المطبعجي

فين وبيعمل إيه دلوقتي، ويا ترىٰ هو اللي لحن وكتب وغنىٰ: "تسلم الأيادي.. تسلم الأيادي"؟

هو الراجل أبو الثوار فين دلوقتي، وبيسهر في أي نادي؟

هو في رابط بين خناقة ڤوداڤون والبلاك بلوك؟

أي عيل أناركي هشوفه هغزه.

لي صاحب غلبان وأبو بنتين وشاعر رقيق اسمه خالد سعيد، راح في الرجلين واتحبس سنتين لإنه صادق وصدق المدعين.

لا أستبعد إطلاقًا فتوىٰ من وزير الأوقاف بأن محجوب عبد الدايم وسالم الإخشيدي وفرج الأكتع هم ضحايا وأبناء ظروفهم، ولا بد من أن ننصفهم ونعيد كتابة تاريخهم.. أما علي طه فهو أثم قلبه؛ لإن الإنجليز احتلونا بمزاجنا ووفق إرادتنا، واسألوا جريدة المقطم وعرابي، وبيته في شارع خيرت وجيرانه اللي كانوا بيضربوه بالطوب كل ما يخرج من بيته.

بيقولـك حمـو بيكـا وهـاني شـاكر نـاويين يعقـدوا صـفقة، وهنـاك مفاوضـات سـلام بيـنهم ويرعاهـا الأخ نجيـب سـاويرس.. نجيـب محفوظ، نجيب اتنين ليمون وشمسية.

فين أبلة تهاني؟ هاتولي أبلة تهاني.



الچنرال

تلك القصة من خيال الكاتب، وأي إسقاط أو تقارب أو تشابه مع الواقع في بعضها أو كلها ليس مسئولية الكاتب.. لا بل مسئولية خياله.. المريض.

***

الچنرال!!

مشـهد أفقـي لفنـدق مـن فنـادق القـاهرة الراقيـة، يجلـس بمفـرده في غرفتــه المطلــة علــىٰ النيــل، يعبــث في مفاتيحــه تــارةً وفي ريمـوت التليفزيـون مقلبًـا قنواتـه تـارةً أخـرىٰ.. يشـعر بملـل، يغلــق التليفزيــون ويخلــع ملابســه كلهــا: الــروب والبنطلــون والبلــوفر والقمــيص، وينســدل داخــل ســريره ملفوفًــا بالبطـاطين، ويتـذكر نظارتـه فلـم يخلعهـا، فيحـتفظ بهـا ويمـد يـده إلـىٰ كتابـه الأثيـر: الأمير لمكيـافيلي، لعـل بعـض سـطوره تجلـب لـه النعـاس، ليـرن جـرس هاتفـه.. يمـد يديـه، إحـدىٰ بناته هاتفة:

- «بابا.. وحشتني.. إزيك؟»

لتفر دمعة حارة من عينيه ويتهدج صوته، يتماسك.

- «انتي وأختك أخباركم إيه؟ وحشتوني يا فوفا.. أموركم تمام؟ في حد بيضايقكم؟»

وترد أختها هاتفة:

- «أبدًا يا حبيبي.. مش ناقصنا غير وجودك، انت نورت مصر.. كل الناس هنا في الإمارات بيسألوا عنك»

أغلق الخط معهم ودخل في نوبة بكاء ونشيج.. اهتز جسده من هول ما يشعر به من حرقة وألم. "أنا.. أنا الجنرال حامد رفيق.. المحارب الشرس، قائد الأسراب، رئيس مجلس النظار، مرشح الملايين وداهية السياسة، آخرتها أبقىٰ هكذا حبيس غرفة في فندق، وفلذات أكبادي محتجزات في بلد آخر؟"، انتفض واقفًا.. هرول إلىٰ حقيبته، انتزع منها صورته بزي الجنرال، تأمل النياشين علىٰ صدره وشموخه وهو ينظر في بؤرة الكاميرا.. تأمل غرفته باحثًا عن مكان مرتفع فلم يجد سوىٰ الميني بار، فوضع الصورة فوقه وتراجع بضع خطوات ووقف منتصبًا صارخًا:

- «سلام قائد سلاح، سلام قائد سلاح.. صفا، انتباه.. صفا، انتباه»

رفع كفه بجواره رأسه في وضع تعظيم سلام صارخًا:

- «تحيا جمهورية إسبرطة العربية.. تحيا جمهورية إسبرطة الحرة»

وغاب في نوبة هذيان متكومًا علىٰ أقرب كرسي، لاهثًا متأرجحًا بين الماضي المزهر وكابوس الحاضر المؤلم.

أفاق الجنرال من غيبوبته علىٰ صوت جلبة مقلقة مربكة، وأقدام ثقيلة وأيدي صارمة تدق باب غرفته. فتح الباب ودلف الكولونيل دفاس ومعه بعض مساعديه.. انفرجت أسارير دفاس لرؤية الجنرال بزيه العسكري وهتف به:

- «كما عودتنا دائمًا حضرتك جاهز يا سيادة الجنرال»

أسقط في يد حامد رفيق متسائلًا:

- «جاهز لماذا، هل قامت الحرب؟»

قهقه دفاس بضحكة مدوية ظهرت من خلالها بقايا طقم أسنانه وما به من ثقوب، وانتفخت أشداقه فوق امتلائهم؛ فظهر وكأنه دب قطبي يبحث عن فريسة.

طلب دفاس من مساعديه مغادرة الغرفة، وسحب الكرسي ليجلس في مقابلة سيادة الجنرال هامسًا:

- «إسبرطة تحتاجك يا سيادة الجنرال، هل تتذكر الجنرال سمير عدنان؟»

واعتدل في جلسته ونظر في عين حامد رفيق هاتفًا:

- «سمير عدنان ينفذ مؤامرة علىٰ العمدة وعلىٰ إسبرطة.. قبضنا عليه، وسنحاكمه.. ولكنني أتيت لك لتساعدنا»

رد رفيق:

- «أنا لست محققًا عسكريًّا ولست قانونيًا»
- «أعرف هذا يا سيدي، ولكن عدنان هو أقدم ضابط في قوات إسبرطة الحرة، ولا يوجد في إسبرطة أقدم منه سواك، وطبقًا للقانون فلا بد أن تقوم أنت بمحاكمته»

اضطرب رفيق.. أسقط في يديه ولا يدري كيف يرد.

فعاجله دفاس هامسًا:

- «شد حيلك.. إحنا عاوزين نخلص من كل مشكلات عدنان حتىٰ تستقر الأمور وتذهب لبيتك ونستدعي

العروستين من الخليج.. لازم ترجع لحياتك الطبيعية والبنتين يرجعوا لحضنك»

وهم دفاس بالوقوف هاتفًا:

- «سأرسل لك القضية لتدرسها»

وابتسم ابتسامة ذات معنىٰ وهمس في أذن رفيق بفحيح مرعب:

- «مدام سونيا ستتصل بك»

وربت علىٰ كتفه بهدوء.

- «شد حيلك يا سيادة الجنرال، عاوزين نفرح بيك انت وسونيا، وفرحك هعملهولك عندي في نادي السلاح نقطة مني لك ولمدام سونيا»

وخرج الكولونيل دفاس مسرعًا.

دار الجنرال رفيق في غرفته دورتين يضرب كفًا بكف ويهذي كالمأفون:

- «كيف هذا؟ هل وصلنا لتلك الحالة، أنأكل بعضنا البعض، نحاكم بعضنا البعض؟»

وطفق يهذي:

- «الجنرال عدنان.. الجنرال عدنان.. سيحاكم وأنا من سيحاكمه»

خر الرجل ساجدًا باكيًا صارخًا:

- «يا رب.. يا رب»

رن جرس تليفونه.. مد رفيق يديه وهو يتحسس قلبه مما أصابه من توتر وحنق وضجر بسبب زيارة دفاس له، ليأتيه صوتها هامسًا:

- «رفيق حبيبي، وحشتني يا بيبي»
- «سونيا فينك؟ طمنيني عنك.. أنا مرهق.. مرهق.. سونيا أنا...»

لم يكمل.. لا يريدها أن تراه ضعيفًا.. ضعيفًا.

- «رفيق، حبيبي.. رفيق.. أنا في الطريق إليك يا حبيبي»
- «سونيا، سونيا.. ابقي.. لا تحضري. سونيا»

(تيت.. تيت) أغلقت الخط.

برهـة ودق بـاب غرفتـه ليأتيـه صـوت سـونيا، كيـف هـذا؟ أكانـت تحـدثني وهـي بالبـاب أم أن حجـزي هنـا في تلـك الغرفـة اللعينـة أفقدني القـدرة علىٰ تحديـد الزمـان والمكـان؟ الثـواني دهـر كامـل، والسويعات كأنها لحظات.

دخلت سونيا حاملة لأكياس مهللة:

- «حبيبي.. حبيبي»

لترتمي في حضنه.. تقبله وتمسح علىٰ ما تبقىٰ من شعيرات رأسه.

- «وحشتني.. وحشتني يا بيبي»

انسـدلت مـن حضـنه وانسـحب هـو جالسًـا علـىٰ حـرف السـرير.. وطفقـت تخلـع معطفهـا لتظهـر أمامـه فقـط بورقـة التـوت، وغلالـة شفافة سوداء موشحة بالترتر اللامع البراق، لتأبىٰ حلمتـا ثـدييها إلا أن تنفجرا في وجهـه. مـدت يـدها البضـة الرشـيقة في أحـد الأكيـاس وأخرجـت زجاجـة الفودكـا وصـبت منهـا كأسًـا واحـدًا.. جلسـت بجانبه هامسة:

- «هنشرب من كاس واحد يا رفيق»

شعر بسخونة جسدها وعطرها يدغدغ ما تبقىٰ له من مشاعر وهي تلف يدها حول عنقه وتقبل زوايا شفتيه، ثم سرعان ما وقفت لتسحبه هاتفة:

- «تعال نرقص.. نرقص يا بيبي»

انسحب رفيق من بين يديها ونظر لها مليًا.

- «سونيا.. انتي مش خايفة يصوروا؟ صورنا وأنا مرشح للعمدية وفي مكان بعيد، ولم يشفع لنا مركزي ولا وضعك الاجتماعي»

انتفض واقفًا ودار حولها دورتين ووقف أمامها محدقًا في عينيها صارخًا:

- «سونيا، انتي بتشتغلي مع دفاس.. بعتيني للكولونيل دفاس يا سونيا»

امتقع لونها وشحبت أساريرها.. زمت شفتيها ورفعت حاجبها الأيسر هامسة:

- «البلد كلها بتشتغل مع دفاس، رفيق يا حبيبي.. اسمع كلام دفاس. العمدة يثق به فقط دون كل سكان إسبرطة، الوحيد الذي يأمن له العمدة هو دفاس.. دفاس وعدني بإغلاق ملفنا.. حاكم عدنان يا رفيق واحكم عليه بما يمليه عليك دفاس.. نفذ كلامه يا رفيق، نفذ وبسرعة»

ودارت في الغرفة تبحث عن معطفها.. ارتدته علىٰ عجل وهي تلملم شعرها وتضبط بقايا ثدييها النافريين في غلالتهم الشفافة. عدلت هندامها.. طبعت قبلة علىٰ جبينه واتجهت مسرعة للباب هاتفة:

- «اسمع كلام دفاس يا رفيق.. حاكم عدنان، بسرعة.. بسرعة»

وأغلقت عليه الباب.

خرجت سونيا من بوابة الفندق وحامد رفيق يتتبعها من نافذته، وشاهد ما كان يتوقعه: سيارة من سيارات حرس العمدة تنتظرها. أسدل كل ستائر الغرفة وهرع إلىٰ صديقته الصدوقة، علبة الدواء المنوم. تحسسها وهم بإفراغها كلها في جوفه، تراجع موبخًا نفسه:

"أأموت منتحرًا؟ لا لا ليس حامد رفيق.. ليس أنا من يقتل نفسه. سأواجه، سأواجههم جميعًا، العمدة ودفاس وسونيا وسمير عدنان، سأواجهم جميعًا.. أعرف أنهم لم يتركوا لي فرصة للمناورة، مساحة للتحرك.. ولكنني سأواجههم جميعًا". قبض علىٰ زجاجة الدواء وأفرغ قرصًا في جوفه ودفن نفسه في سريره لا يلوي علىٰ شيء.

أفاق علىٰ صوت أذان الفجر مع خبط خفيف منتظم علىٰ باب غرفته، فتح الباب.. ضابط مبتسم هادئ.

- «اتفضل البس وانزل معانا يا فندم»
- «إلىٰ أين»
- «الكولونيل دفاس ينتظرك في الجهاز»
- «انزل انتظرني في اللوبي»

وطفق حامد رفيق يخرج حلته العسكرية ويمسح نياشينها.. تمم عليها ودخل فأخذ حمامًا سريعًا وارتدىٰ البدلة مع رشة عطر لعلها تنعش روحه.. قطعتي بونبوني مما يحبهم وضعهم في جيب سترته.. حمل ملفات قضية الجنرال سمير عدنان وخرج من غرفته وهو يدندن ويصفر، ابتسم لعاملة النظافة.. رد الصباح علىٰ

نادل خدمة الغرف.. رفض ركوب المصعد، نزل علىٰ السلم، مر من اللوبي مبتسمًا وسط نظرات رواد الفندق وهمساتهم وهمهماتهم، خرج من الفندق، نصف ساعة وتداهم رواد الفندق وإسبرطة كلها نشرات الأخبار.

انتحار كلًا من الجنرالين حامد رفيق وسمير عدنان، بأن أطلقا علىٰ بعضهما النار.

وخرجت يوميات إسبرطة الحرة تشرح كيف خطف سمير عدنان رشاش أحد الحراس وأطلق علىٰ حامد رفيق خمس رصاصات؛ فأخرج رفيق طبنجته وعالج عدنان هو الآخر بست رصاصات.. ويعرض مذيعي إسبرطة الحرة أدلة قتل بعضهما البعض وسط أناشيد حماسية وأغانٍ وطنية، تمجد إسبرطة الحرة وحكمة وشجاعة مولانا العمدة.

❊ ❊ ❊

سوتي!

- «عيش، حرية، الجزر ديه مصرية.. عيش، حرية، الجزر ديه مصرية»

ارتفع صوته بالهتاف وحوله بضع مئات يردون الهتاف؛ فتحمس وارتفعت عقيرته:

- «اللي يبيع صنافير وتيران، بكرة يبيع شبرا وحلوان»

بح صوته وهو يهتف ويتأمل تلك المجموعة الصغيرة التي تردد وراءه وعينيه ترنو إلىٰ هناك.. إلىٰ الميدان؛ فتحلق روحه ليرىٰ المئات التي حوله وقد تحولت إلىٰ ملايين، ورائحة الصحفيين المتأنقين أصبحت رائحة غاز مخلوط بالبصل، وأسراب المحاميين بأروابهم السوداء وابتسامتهم للكاميرات لا تبصرها عينه، فهو يراهم جموع العمال والفلاحيين وهم يهتفون وراءه هتافًا واحدًا وحيدًا: ارحل.. ارحل.

وفي ذروة التناقض بين الماضي والحاضر.. بين ما يهتف له وما يتوق له.. بين الزمان والمكان، بين الملايين الذين أموا الميدان

وتراءوا في مخيلته وبين المئات الـذين يهتفـون خلفـه، ظهـرت هـي تزغرد علىٰ أبواب مجلس الدولـة تـزف للصـحفيين البشـري؛ فقـد حكمت المحكمة بمصرية الجزيرتين.

تسحب ابنتها الصغيرة.. فتاة في عمر الـورود، وسـرعان مـا تحملهـا علىٰ كتفها وتصرخ فيها:

- «قولي يا فريـدة.. قـولي يـا ديـدا: عـيش، حريـة، الجـزر ديـه مصرية»

وتهتف الفتاة وتردد كلام أمها، وهي لا تعي ما تقول سوىٰ أنها تريد أن تسعد ماما وأصحاب ماما. تدخل في وسـط الجمـوع لتشـاركهم الهتاف وإذ فجأة تلتقي عيناها عينيـه.. أطلقـت زفـرة طويلـة أتبعتهـا بقبلة في الهواء صارخة:

- «سوتي.. سوتي»

وهبط صوتها إلىٰ قلبه كأنه لحن شجي فاضطرب وجدانه وهاجـت ذكرياته، وهبطت قبلتها الطائرة علىٰ جبينه فأشعلت وجنتيه وانتفخ أنفه واحمرت أذنـاه.. محياهـا أشـعل بـه نـارًا ظـن أن مـرور خمـس سنوات قد أطفأها. سامية مصطفىٰ.. سامية مصطفىٰ، لـم تتغير كمـا

هي وكأن السنين لـم تصـل لهـا.. عيناهـا اللتـان تشعان نـورًا وبهـاءً وضـاءً.. وشـفتاها المكتنزتـان وبشـرتها السـمراء الداكنـة، وكأنهـا كوب من الموكا الدافئة.. فغمز لها بعينيه كما كان يغمز لهـا في أول مرة رآها، تذكرها.. تذكر أول يـوم شـاهدها وهـي تخلصـه مـن بـين أيـدي المخبريـين وتتلقـىٰ الهـراوات عنـه يـوم ٢٦ ينـاير، وكيفـت قبضت علىٰ يديه وصرخت به:

- «اجري.. اجري»

أفاق من ذكرياته علىٰ صـوت المحـامي الشـاب عـادل علـوي وهـو يعلن أن الحكم نهائي وبـات.. تلفـت حولـه باحثًا عنهـا.. اختفـت، ذابـت وسـط الجمـوع، تلاشـت وكأنهـا ذكـرىٰ.. طيـف.. ومضـة.. ليس لها أثر. تنحىٰ جانبًا وجلس علىٰ الرصيف وأشعل سيجارة.. وطفق يطأطئ رأسه.. هـي أم لا؟ حلـم أم حقيقـة؟ تـذكرها.. تـذكر حـديثها الشـجي في ليـالي ينـاير الوضـاءة.. حماسـها وجملتهـا المـأثورة التـي كانـت تلقيهـا علـىٰ سـمعه: "الثـورة ستنتصـر.. ستنتصـر". ابتسـم وضـحك عنـدما تـذكر حملهـا لـلأدوات الطبيـة مهرولـة بـين عيـادة هـارديز ومخـزن الأدويـة في الصـينية، غسـيلها لوجهه بالكولا، حشو أنفه بالبصل بعـد أن تلاقـت قنبلتـا غـاز علـىٰ

رأسه فأدخلتاه في موجة من الضباب الخانق في محمد محمود.. ولولاها ولولا البصل والخل لمات، ولكتب كبير الأطباء الشرعيين الدكتور السباعي علي السباعي له شهادة الوفاة المعهودة: ومات المذكور لإصابته بأسفكسيا الاختناق. تذكر صوتها وسرسعته وهي تنشد: "مصر يامَّا يا بهيه...".

امتقع لونه وقلب شفتيه لمروره في مخيلته، تذكره.. تذكر زوجها خالد فتحي.

صديقهم وصديق الميدان.

نادت عليه:

- «سوتي.. سوتي، بص يا برنس.. خالد اتقدملي وبابا وافق.. قول لنا مبروك يا سعيد، ياض يا سوتي باركلي»

لا زالت كلماتها ترن في أذنيه.

أما هي فأخذت سيارتها وانطلقت تشق عباب الجموع ودموعها تغرق وجهها، وابنتها تحاول أن تعي سر دموعها الغزيرة، وهي

تكفكف دموعها علىٰ ثورة ضاعت وأحلام بعثرت وشهداء ضحوا وسجناء كسروا.. وقطع حبل ذكرياتها هاتفًا من طليقها خالد فتحي يؤنبها علىٰ أخذ ابنتهم معها لمجلس الدولة وتعريضها للخطر؛ فشعرت بأن الفرصة قد واتتها، فصرخت فيه:

- «يا خالد.. يا خالد بيه يا عضو مجلس النواب.. أنا سامية مصطفىٰ، عمري ما أعرض بنتي للخطر.. انت من تعرضها للخطر.. عارف ليه؟ لإن كل الناس مش بيقولوا عليك خالد فتحي.. بيقولوا خالد فراولة، وانت عارف الفراولة يا بتاع الترامادول»

وأغلقت الخط في وجهه.

وانطلقت بالسيارة مسرعة لا تنوي شيئًا؛ فالموقف أكبر من قدراتها علىٰ إيقاف شلال الذكريات الذي ينخر روحها وينحر زوايا عقلها.. خالد.. خالد، يفعل بي وبنفسه كل ذلك.. يبيع زملاءه وثورته من أجل كرسي أو منصب.. أين كفاحنا معًا؟ تنظيراته، هتافاته، في المقطم والاتحادية.. تمرد التي كنت أدور بها من شارع لشارع.. كل هذا باعه خالد. وقفز سوتي كجدول صغير أمام تيار خالد الجارف في ترتيب أولويات ذكرياتها.. سوتي، لمَّح لي في

الأول حول خالد، زجرته ونهرته؛ فأنا أعرف خالدًا وأعرف معدنه.. "ده حبيبي ونصيبي ياض يا سوتي". تراجعت في كرسيها وسيطرت علىٰ السيارة فقد أوشكت علىٰ أن تصدم أحد المارة.. وبين نظرات الهلع في عين الرجل وسبابه ونظرات ابنتها التي تحمل ألف سؤال، تذكرت نظرة سوتي أثناء القبض عليه.. تذكرت كيف ومتي قبض علىٰ سوتي، بعد مناقشة حادة بينهم.. خالد وسوتي.

خالد:

- «كفاية، عاوزين إيه تاني؟ ماهو الرجل الكبير مشي خلاص»

سوتي:

- «وأين الجديد يا خالد؟ هو مشي واللي بعده مشي، وبقي الحال كما هو.. يا خالد لا بد من إكمال الثورة.. أنصاف الثورات مقبرة للثوار يا خالد»

وقاطعه خالد صارخًا:

- «نحن لسنا في أدغال بوليفيا ولا انت جيفارا.. نحن في مصر. اصحىٰ، فوق يا سي سوتي»

وتذكرت تداخلها في الحديث لنصرة خطيبها خالد وأن للثورة طرقًا أخرىٰ.. ولا بد من أن نعطي المؤسسة حقها فقد وقفت بجانبنا.

جن جنون سوتي غاضبًا:

- «حق المؤسسة علىٰ عينًّا وراسنا، ولكن هناك حيث العدو الذي يتربص بنا»

خالد:

- «افهمني كويس يا سوتي.. البلد لا تحتمل أكثر من ذلك؛ فقد وعدوني بانتخابات نزيهة ودور أكبر لنا و، و، و...»

فأطلق سوتي ضحكة هيسترية رقيعة أعقبها بشخرة طويلة، واستدار ونظر في عين خالد صارخًا:

- «بأمارة إيه يا سي خالد؟ بأمارة إن الرئيس الانتقالي أصدر سلسلة قوانين تحدد نوع وكمية الأكسجين؟ هذا لو فكر

أي شخص أن يتنفس في هذا البلد.. البلد ذاهبة إلىٰ طريق مظلم»

وهنا تدخلت هي قائلةً:

- «لا ثورة دون إخوان.. لا ثورة دون فلول»

والتقط خطيبها خالد الخيط ليصرخ في سوتي:

- «انت إخوان يا سوتي.. انت إخوان»

فنظر سوتي في عينيه طويلًا وقال له:

- «إزاي إخوان يا ابن الكلب وانا ناصري؟ أنا سعيد صبري.. وانت عارف مين سعيد يا خالد»

وهنا توقف شلال ذكرياتها أمام ضابط يطلب الرخص؛ لمرورها من مسرب خاطئ عكس السير. مدت للضابط الرخصة وحرر المخالفة ونظرت للضابط مليًا، إنه يشبه الضابط الذي كان واقفًا مع طليقها خالد يتهامسان في ليلة القبض علىٰ سوتي.. سألته:

- «انت المقدم نبيل فاروق؟»

فضحك الضابط وقال:

- «نحن توأمان، أخي أمن وطني وأنا مرور»

خطفت رخصة القيادة من الضابط وأطلقت لكوابح سيارتها الريح وانطلقت مسرعة لا تنوي شيئًا.. مستعذبة شلال الذكريات الذي ينهمر علىٰ رأسها ليحفر أخاديد جديدة في دهاليز عقلها.. عبرت كوبري الجلاء في طريقها إلىٰ كوبري قصر النيل، وأفاقت علىٰ صوت ابنتها:

- «هذا ليس طريقنا يا ماما»

مسحت شعرها مغمغمة بكلمات غير مفهومة للصغيرة، وفي منتصف الكوبري تكاثفت عليها الأفكار وغمرتها كأنها رشقة ماء من سيارات الأمن المركزي.. ولفتها الذكرىٰ كأنها قنابل دخان.. استحضرت الحدث، تحسست ملابسها الغارقة في الماء ورائحة الدخان التي تعبق الأجواء.. هنا كنا نهتف وراء سوتي، هنا سقط سوتي مصابًا بطلق خرطوش، هناك كان خالد يتناقش مع أحمد البرعي، النجم القادم من وراء البحار لنشر الحرية.. يقترب منه ويلاصقه كأنه طيفه أو حارسه الشخصي.. وسوتي المصاب يبتسم

عندما هرع له نجم تياره وقائد المعارضة حماد مصباح ليطمئن عليه.. وتأملت تلك الجموع التي تضغط للوصول للميدان، وهي تهتف وتشجع الفتيات على البقاء حتى الوصول للميدان.. انهمرت دموعها بغزارة.. رجعت لسيارتها بعد أن شعرت بأن المارة يحدقون فيها بتعجب.. وصلت إلى الميدان وتأملت الصينية وما حدث بها.. صارٍ طويل عليه العلم، هنا طببت مئات الجرحى، هنا.. لمح لي سوتي بحبه.. هنا أمسك خالد بيدي واعترف لي بحبه.. لم أكن أوازن بينهم.. خالد بتنظيراته وعلاقاته مع النخب ونظارته ذهبية الإطار وكلامه الكبير وهدوئه المريب.. وسوتي بتلقائيته وضحكته الطفولية وانطلاقه وجينزه وهتافاته المتجددة وقيمه الرائعة وسقف مطالبه العالي.. سوتي من أول من رفع الحذاء في الميدان.. ومن رفض ترك الميدان إلا بعد أن وشي به خالد ليقبض عليه، توصلت للحقيقة متأخرة بعد أن تزوجت خالد فتحي.. خالد باعنا وباع الثورة، هكذا كان يقول لها سوتي وهم يوزعون استمارة تمرد.. خالد باعنا فعلًا يا سوتي. وانتحبت وشعرت بغصة في قلبها لمرور خيانة خالد لها وللثورة في عين ذاكرتها، عندما رأته.. وسمعته وهو يعقد صفقة عضويته في مجلس

النواب، ومصنع البسكويت الذي أهدته له الحكومة ليكون ساترًا عن كونترات الترامادول.

وسخ، حتىٰ حملي لابنته لم يشفع لي عنده، وقرر الزواج بلمياء رءوف، ابنة اللواء أحمد رءوف؛ ليكون كلمة السر في كل صفقاته.

لم يشفع لي عنده كفاحنا معًا، تفضيلي له عن سوتي.. وقوفي بجانبه ودعمه.

"إن لم تنهكَ صلاتك عن الكذب والخداع فلا مكان لك في جنة العشاق".. جملة كان يرددها سوتي دائمًا في ليالي يناير الباردة.. يفترشون الرصيف معًا ويفتقدون مداخل الميدان معًا.

- «انت شاعر ياض يا سوتي»

قهقه كطفل صغير ونظر في عينيها..هامسًا:

- «وهل يعرف الفجر الجديد أن هناك فجرًا آخر يتمنىٰ أن تري نوره، ولكنه أهداه للحق والخير والعدل»

وأردف مسرعًا:

- «متىٰ ستتزوجين خالد»
- «زارنا وقابل بابا»

وقلبت شفتيها ولوحت بيديها وكأنها تطرد طيف خالد.. تريد أن تستمع لسوتي، قطعة في قلبها تتشوق لحديثه البريء، لصفاء عينيه، نقاء سريرته.. لسوتي سحر الثوار وبساطتهم، علىٰ عكس خالد منمق الكلمات منضبط الأفكار.. خالد إن قرر شيئًا يصل إليه.. علاقات خالد مع الكل جيدة، ثوار، أمن، جيش، إخوان، قادة رأي.. خالد يجيد التعامل مع الكل.. يأخذك بحديثه المنظم وأفكاره الواقعية.. وهتفت:

- «سوتي، انت برج إيه؟»
- «حوت.. حوت يا برنسيسة»
- «عشان كده مجنون.. الحوت برج المجانين»

نظر سوتي لها طويلًا وسأل:

- «ما الذي أعجبك في خالد؟»
- «طموحه.. خالد عنده طموح يا سوتي»

أطرق سوتي رأسه محدقًا في بقايا الأحجار المتبقية من موقعة الأمس (موقعة الجمل) وقال لها مترددًا:

- «البعض شاهد خالد معهم بالأمس»

وجلت وتراجعت خطوتين وقالت لسوتي:

- «ولا كلمة زيادة. انت ليه بتكرهه؟ سوتي أرجوك، خالد لا يمكن أن يفعل ذلك.. يا نهار أسود، معقولة حقدك عليه يجعلك تلفق له تلك التهمة؟ خالد مننا، من الثوار يا سوتي»

وهنا شعرت بإعياء شديد ونزلت من سيارتها تترجل في الميدان، كلمات سوتي لا زالت تطن وتزن في رأسها.. سوتي.. سوتي هناك في مجلس الدولة، هرولت مسرعة إلىٰ سيارتها وابنتها تركض وراءها، وانطلقت عائدة إلىٰ سوتي.. خفت الجموع وهالها ما رأته.. ضباط شرطة يسحبون سوتي إلىٰ سيارتهم وهو يهتف: "بلادي.. بلادي"، وهو يقاوم ويتفادىٰ الهراوات ويهتف، فيسحلونه ويسحبونه إلىٰ سيارتهم.

جفت دموعها فلم يعد في عينيها دموع.. فقط قلبها هو من يبكي، يبكي بحرقة وعينان سوتي وابتسامته لها وهم يسحبونه تدمي قلبها؛ فحملت ابنتها في حضنها وانطلقت مسرعة بسيارتها، إلىٰ المطار.. إلىٰ المطار.. إلىٰ المطار.



يويو

رن الجرس، نزلت مسرعة ومعها كوكبة من زميلاتها طالبات مدرسة السنية الثانوية، مهرولات تجاه سوبيا الرحماني. احتضنت أجندتها الخضراء ونقلت ضفيرتها المتدلية علىٰ صدرها خلف ظهرها، لتتمايل كذيل مهرة عربية أصيلة. يتهامسن وتخرج منهم ضحكات خافتة وهن يحتسين أكواب السوبيا، وفجأة وقف أمامها كطود شامخ بعينيه الغضوبة الزائغة، وبقايا طعام وزبد يخرج من فمه.. لحيته سوداء مقبضة، وملابسه رثة ويده كمقبض باب متسخ. أطلق ضحكة مدوية وهوىٰ علىٰ صدغها بكفه المهولة، لتخرج منها صرخة حادة وهي تطير لتسقط في حضن أحد رواد مقهىٰ زهران، ملتاعة مرتعشة بعد أن كسرت الشيشة أمامه صارخة:

- «الحقني يا عمو.. الحقني يا عمو»

فما كان من الرجل إلا وقد حمل ملقاط الفحم وهرول نحوه.. ليركض هو مسرعًا إلىٰ الرصيف الآخر ويخلع بنطاله وتظهر

عورته، راقصًا أمام المارة المتبرم بعضهم والضاحك الساخر البعض الآخر.

تركت المدرج وقررت عدم حضور المحاضرة، تشعر بعدم الراحة وبوادر المغص الشهري تمزق أحشاءها.. خرجت مسرعة من حرم الجامعة ومعها صديقتها.. نزلا من مترو حلوان، وفي طريقهم للبيت في ضاحية حدائق حلوان بعد أن ترك أبوها بيت السيدة، تحاول أن تنسىٰ ألم المغص بفتح مواضيع واختراع حكايات مع صديقتها، وفي الجزيرة بين الشارعين وجدته منتصبًا كعمود نور مظلم.. التقت عيناه الزائغة وعينيها، ركبها شيطان الرعب، خارت قواها وكادت تسقط، وهرولت مسرعة بعيدة تبحث عما تحتمي به، وركض هو تجاهها. تفلت منه.. تصرخ صديقتها بعد أن قبض عليها من الخلف والتصق بها يتشممها كذئب مسعور، وتعالت صرخاتهما ليتجمع المارة ويضربوه حتىٰ يخرج الدم من فمه بعد أن قضم لسانه بأسنانه، وهو يرغي ويزبد بغمغمات غير مفهومة، ويقفل مسرعًا بعيدًا.. بعيدًا.

تزوجت وعاشت مع زوجها الضابط في ضاحية الضباط في مدينة نصر.. ضابط شاب قمحي ممشوق القوام، تعود كل إجازة أن

يقضيها بين أحضانها يعبئ منها كثمل لا يقوىٰ علىٰ مقارعة ليالي البعد عنها.. وما إن يفرغ منها حتىٰ ينهرها آمرًا:

- «قومي لمعي لي الجزمة»

وكأنها جندي مراسلة خلق فقط لتلميع حذائه وخدمة حضرة الضابط.. كانت تستغرب أوامره ونواهيه الغريبة، وتحاشيًا لظنونها كانت تلمع حذاءه قبل أن يطلب منها ذلك، فأسقط في يديه ولم يفتأ أن اخترع أوامر جديدة: حضري الحمام، اغسلي لي قميصي، لمعي النجوم والاسبليت، هاتي الشبشب، ولعي لي سيجارة وأحضريها لي في الحمام. توقيت طلباته غريب ومريب، لا يطلب منها ذلك إلا بعد أن يفرغ منها. قررت التمرد، قالت لا.. وقد كانت "لا" هي المفتاح لأبواب جهنم التي سيقت إليها.. زاغت عيناه وخرج الزبد من فمه وطفق يلعن ويسب ويكدرها، يطلب منها أن تقف في شمس الظهيرة في البلكونة ساعة ثم تدخل الشقة زاحفة.. أن تقف انتباهًا وفوق رأسها شنطة ملابسه وكأنها مخلة أحد الجنود. قررت الهروب، الباب مغلق ومعه المفاتيح. قفزت من الدور الثاني واحتمت بالجيران.. خاطبهم بكل أدب وود:

- «مراتي نفسيتها تعبانة شوية وهاخدها للدكتور»

سحبها من عندهم وسحب القايش بعد أن أغلق الباب، وما إن رفعه حتىٰ شاهدت الدم يخرج من زوايا فمه بعد أن قرقضه بأسنانه. هو.. إنه هو نفسه، نفس العينين الزائغتين، نفس أنفاسه المتلاحقة، ابتسامته الغامضة.. وقبل أن يطلق ضحكة مدوية كانت هي في غيبوبة أبدية لم تفق منها إلا علىٰ صوت المأذون وهو يعلن طلاقهما.

ككل سيدة مصرية مطلقة تخرج من عملها مسرعة إلىٰ السوق، ومنه إلىٰ المطبخ لإنهاء الغداء قبل رجوع الأولاد من دروس ما بعد الظهر.. صعدت الدرج متحاملة، تقوس ظهرها من حمل الأكياس للدور الرابع.. عمال يحملون عفشًا للدور الثالث؛ فقد عرفت أن الشقة التي ظلت سنة مغلقة قد اشتراها أحدهم بعد أن تناثرت أقاويل عن وجود عفاريت وأشباح بها.. وواصلت الصعود وهي تفاوض أحد الأشخاص في التليفون عن سيارتها التي قررت بيعها:

- «أقل من السعر المحدد لن أبيعها»

مرت من أمام الشقة وهي تستعيذ بالله وتتحاشىٰ النظر داخلها.. لفت نظره مرورها واسترق السمع إلىٰ مكالمتها. تفحصها،

جسدها، صوتها، ظهرها المقوس وقدماها الدقيقتان.. شعر بشبق رجل نسي آخر مرة داهم فيها امرأة.. اعتدل في جلسته ولمعت عيناه.. واصلت هي الصعود غير عابئة بهمهمات العمال وشعاع عينيه الذي يتخللها.

نزلت صباحًا بعد أن اتفقت مع مشتري سياراتها علىٰ السعر.. تتفقد السيارة وجلست بها تسخنها، وإذا به ينزل مسرعًا من شقته يتقافز بجسده النحيل ورأسه الضخمة مثل اليويو.. يمد رأسه داخل السيارة ليلتقي وجهه وجهها وشلال من الزبد وبقايا الطعام والرذاذ يملأ وجهها.

- «أنا صبحي المنشاوي.. جاركم الجديد، أنا عاوز العربية.. وبأي سعر تقدريه. أنا مدير إدارة الموارد المالية في وزارة التخطيط سابقًا»

دفعت رأسه خارج السيارة بعد أن غمرته بسيل من السباب وانطلقت مسرعة بسيارتها تلاحقها أقاويل الجيران عن شقته وعفاريتها.. "معقولة يكون عفريت؟" عفريت.. ما عفريت إلا بني آدم، وبحس المرأة وخبراتها السابقة قررت إن عاد محاولاته أن تشكمه وأن توقفه عند حده.

ظـل يتابعهـا ويتلصـص عليهـا في صـعودها ونزولهـا، واسـتجمع شجاعته وفتح الشراعة أثناء نزولها وهمس:

- «صباح الخير»
- «صباح النور»
- «بما إني ماليش نصيب في العربية.. وبما إننا جيران، كنت عاوز منك خدمة»

أخذتها الظنون وعصفت بها الأنواء وهتفت:

- «اتفضل»

ففتح الباب فظهر أمامها بهيئته العجيبة.. فانلة حمالات، وشورت أقرب منه إلىٰ بنطلون من شورت، ورأسه الكبيرة وقدمه الرفيعة وعيناه الغائرتان وشعره المنكوش، وطفق يتحدث وكأن الكلمات تخرج من عضلاته التي تتثني وتتلوي مع كل كلمة، وحافظت هي علىٰ المسافة بعيدًا عنه خوفًا من أن يصيبها زبد ورذاذ حروفه، متحاشية النظر إلىٰ أسنانه المتآكلة، فقال:

- «أنا وحيد ويعني بدور علىٰ عروسة وممكن أكتب لها نص الشقة لو انبسطت منها»

تراجعت هي أكثر وهتفت:

- «هو انت فيك حيل يا عم الحاج؟»

وأطلقت ضحكة متسائلة:

- «وإيه مواصفات العروسة يا أستاذ؟»

استجمع شجاعته ونظر في عينيها وقال:

- «عاوزها شبهك بالظبط»

فضحكت وأكملت صعودها لشقتها.

أما هو فظل يراقبها ويتلصص عليها في صعودها وهبوطها إلىٰ شقتها، وهي بحس الأنثىٰ شعرت بذلك وأعدت العدة وخططت لمواجهته إذا ظل هكذا.. حتىٰ جاء اليوم الذي تنتظره علىٰ أحر من الجمر. صعدت وتلكأت أمام شقته ففتح هو الباب، وتقدم نحوها بابتسامة لزجة وعينين يحدهم الشبق والتيه هامسًا:

- «مساء الخيرات يا عروسة يا بنت الأصول»

استجمعت شجاعتها وصرخت فيه:

- «بقولك إيه.. أنا مش بنت أصول.. أنا شلق ومجنونة ولو شفتك تاني هنططك زي اليويو، ادخل شقتك واوعىٰ أشوف وشك تاني.. ادخل شقتك»

دخل صبحي شقته مسرعًا وفتح الشراعة راجيًا متمنيًا أن تخفض صوتها، وصوتها يلاحقه:

- «اقفل.. اقفل يا رجل انت»

صعدت بعض درجات والتفتت نحوه لتجده وقد علت الزرقة محياه وزاغت عيناه وطفق يرغي ويزبد ويضغط علىٰ شفتيه حتىٰ سال الدم من زوايا فمه، ويتوعدها بالفتك بها؛ فصعدت شقتها وأحكمت إغلاقها.. وسمعت سرينة سيارة الشرطة والجيران يصرخون:

- «الجار الجديد صبحي المنشاوي.. في حالة هياج وحاول أن يرمي نفسه من بلكونة شقته، لولا أحبال الغسيل في الطابق الأدنىٰ»

نظرت من الشباك متلصصة فوجدت صبحي بين رجال الشرطة يتنطط مثل اليويو، ويرفع يديه تجاه شباكها ويصرخ:

- «أنا صبحي المنشاوي.. أنا عاوز أتجوز.. هاتوا لي العروسة.. العروسة»

عجوز، كهل.. تجر رجليها جرًا، شتاء القاهرة القارس.. تشعر أن القاهرة أصبحت مدينة صقيع.. أو أنها كبرت ولم تعد تحتمل برد القاهرة، ولكنه الحفيد الأغلىٰ والأحب دودو.. اليوم عيد ميلاده. دخلت محل هدايا أطفال في سيتي ستارز واختارت هدية دودو وقفلت مسرعة إلىٰ سيارتها. الشمس علىٰ وشك المغيب والشوارع خالية إلا من السيارات الهادرة وقليل من المارة. فتحت سيارتها وهمت بالجلوس بها، نظرت في المرآة فوجدته في الكرسي الخلفي يبتسم لها.. نفس العينين الغائرتين الزائغتين، ونفس الابتسامة اللزجة الغامضة.. ونفس الأنفاس المتلاحقة المتقطعة. هو نفسه.. هو من هوىٰ علىٰ صدغها طفلة عند الرحماني، نفس نظرات الشخص الذي قبض علىٰ صديقتها وكاد يفتك بها في حلوان، هو نفسه زوجها الضابط وجمود ملامحه وتقطع أنفاسه.. يهز رأسه ويتلوىٰ مثل صبحي الجار.. رعب دب في أوصالها. حاولت فتح

البــاب، حاولــت.. حاولــت ولــم تفلــح.. داســت البنــزين بأقصــىٰ ســرعة وهــو في الكرســي الخلفــي يرغــي ويزبــد، ويضحك ويتثاءب ويصرخ:

- «يا عروسة.. يا عروسة، أنا العريس»



العين الثالثة

لا يضحكه سواها، ولا يعلمه سواها، ولا يشعر بالشجن إلا معها. جنية.. أميرة فرعونية ظهرت له من بين الشهب والنجوم.. دخل يحدثها، يلاطفها، يشقطها.. شقطته، خطفته، زرعت عينًا ثالثة في جبهته وطبعتها بين عينيه.. يخط الحرف لترسمه كلمة.. يكتب الكلمة لتحولها إلىٰ جملة، تقفز بين أحلامه، وتفسر له منامه.. تتشاقه، يحدثها في قلة الأدب، تبحر به في بحور الأدب.. ترفل بين المهج بالأبيض؛ فيطير فرحًا عريس من عرسان السيدة والحسنية، يدب الأرض بنبُّوته ويرقص علىٰ أنفاسه المزمار.. يدور، يدور كراقص تنورة ذبيح.. تغلغلت إلىٰ وجدانه.. تعبث به.. تنزع صورًا وتضيف قيمًا.. وكأنه وليدها وتشرع في تربيته. هسس، عيب، حرام.. تسللت إلىٰ المنطقة الرمادية في عقله.. فصلت بين العيب والحرام والواقع والأحلام.. والعشق والانسجام.

مع أذان الفجر وتردد همهمات وحوقلات المصلين دلفت إلىٰ أم هاشم مسرعة تحمل سبحتها وتتمتم بالشهادة.. تهلل وتكبر وتستغفر، وتعلقت بأستارها باكية.. تمني نفسها باستجابة دعواتها

ودموعهـا تغـرق وجههـا.. يـد صـغيرة تربـت ظهرهـا، اسـتدارت للإشـارة والعلامـة أم حمـزة نبويـة، أو نبويـة أم حمـزة؛ هكـذا ينادونهـا.. تتـدثر بعبـاءة خضـراء موشـحة بالقصـب وتعتلـي رأسـها طرحة بيضـاء، ووجه أبيض مشرب بـالاحمرار، مستدير اسـتدارة القمر.. أخذتها من يدها وفي ركن قصي جلسا.. وبإشـارة مـن نبويـة بكت، بكت وحكت ونبوية تهز رأسها وتتمتم:

- «أصابك عشق؟»

تهز رأسها باكية، ويهتز جسدها وتلمع عينيها مع ذكر اسمه.. تربـت نبوية علىٰ كتفها، تحتضنها، تبكـي في حضـنها.. تنهنـه كطفلـة تائهـة في شارع غريب، تطمئنها نبوية وتمسح علىٰ رأسـها بالرقيـة وترفـع صـوتها بالآيـات.. اطمـأن قلبهـا، هـدأت نفسـها.. تبسـمت نبويـة كاشفة عن سنتين إحداهما فضية والأخرىٰ ذهبية، تقبعان في كهـف مضيء، وهمست لها:

- «ربنا يسعدكم»

وكـأن كلمـات نبويـة الأخيـرة تريـاق صـب في أوصـالها.. قبلتهـا وخرجت تتبختر تبحث عـن سيارتها. وجدتـه.. وجدتـه علىٰ بـاب

المقام.. في صورة طفل محموم تحمله أمه وتنهنه داعية باكية أن يشفىٰ، في وجه كهل يقطع الشارع مبتسمًا، في وجوه طلاب المدارس الذين يأمون الشوارع يتضاحكون، علىٰ أغلفة المجلات المتراصة وصفحات الجرائد.. تخيلته عسكري المرور الذي يطلب الرخص ويغمز لها بعينيه. ضحكت، ضحكت وانطلقت بأقصىٰ سرعة إلىٰ البيت.. إلىٰ هاتفها لتجد عشرات الرسائل منه، والتي ينهيها بوجه ضاحك.. هو إحنا نهارنا أبيض ولا حاجة؟ احتضنت وسادتها وراحت في سبات عميق.. عميق.



نصف بطيخة

يوم حار شديدة السخونة.. تشعر بضغط علىٰ صدرها وضيق يعتلي محياها.. تصعد درج بيتهم شبه زاحفة.. ترتمي علىٰ أقرب كرسي وتموج بها الأفكار وتتخطفها أنواء وعواصف الخلافات الزوجية، بعد أن شاهدت طليقها يحوم حول الشركة التي تعمل بها.. ترىٰ ماذا يريد، وهل سيفتعل معها خناقة النفقة الشهرية؟ وسرعان ما تذكرت شيئًا جعلها تشعر ببعض الراحة. تبتسم.. فتحت هاتفها وكتبت: "يخبئ لنا القدر دائمًا مفاجأة سارة بعد مشوار تعب وعناء".

وما أن قرأ زوجها المنشور، حدث نفسه وسرعان ما صرخ:

- «أكيد بنت الكلب اتقدم لها عريس وهتشحطط الولاد معاها.. أنا عاوز ولادي، لازم آخد ولادي»

مديرها في العمل قرأ المنشور بتمعن وصرخ:

- «يعني إيه؟ أكيد هترجعي لزوجك بعد ما اتفقنا.. خلاص كده.. ماشي ترقيتك وقفت يا أستاذة، وخلي جوزك ينفعك»

زميلتها في العمل.. عبثت واكفهرت وهمست:

- «السوسة الحرباية تقربت من المدير ووضعته في جيبها ولطشت الترقية، وديني ما هسكت وهوصل الأمر للمدير العام، أنا أولىٰ بالترقية»

عم عبده البواب قرأ المنشور، وقبض علىٰ تليفونه هاتفًا:

- «أيوااا يا عثمان.. بلغ السمسار إن شقة الدور الرابع خلاص راح تفضىٰ، شكلها هتسافر.. عاوز الحلاوة يا عثمان»

قطط العمارة تجمعت علىٰ باب الشقة.. تموء وتتعارك أملًا في أن تفتح لهم.. فتحت الباب لهم وهرولت مسرعة ففتحت الثلاجة، وجدت نصف بطيخة مقطعة باردة تحتل الرف الأعلىٰ في الثلاجة؛ فكتبت علىٰ ملفها الشخصي: "ربنا يخليكي ليا يا ماما".

كافكا

أصيب كافكا في يده إصابة بسيطة، وشرعت ميلينا في تضميد جرحه، وهي تضع له الميكركروم والشاش ضغط علىٰ يديها ضغطة خفيفة حانية.. نظرت ميلينا في عينيه طويلًا وهمست له:

- «وبعدين بقىٰ في نية أمك السوداء ديه.. بطل دلع يا راجل»



جدول المحتويات

